**روبرتو الرت**

# لعبة الجنون

ترجمة/ خالد طوبار وامنية محمد

obeikandl.com

obeikandl.com

© دار خـــــان
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى ٢٠١٣
رقم الإيداع ٢٠١٣/٥٠٤٩

ISBN:978- 977 -5185 -35- 8
دار خان
ص.ب: ١٣٢ رمسيس-القاهرة- مصر
هاتف: ٠١٠٠٥٥٣٩٤٧٢
e-mail: Darkhan.egypt@gmail.com
**Dar Khan**
P.O.Box 132 Ramses-Cairo-Egypt
Tel.:01005539472

Work published within the framework of "Sur" Translation"
Support Program of the Ministry of Foreign Affairs,
".International Trade and Worship of the Argentine Republic

obeikandl.com

obeikandl.com

# *المقدمة*

## عيش الحياة

تعد بعض البيانات عن السيرة الذاتية ل"روبرتو ألرت" مهمة لاستيعاب الظواهر الثابتة في روايته" اللعبة المجنونة"•

وكما ظهر في التسلسل الزمني لحياته، فإن والديه من المهاجرين الأوروبيين• أتى "كارلوس ألرت" من "بولونيا"، بينما ولدت أمه في قرية" تيرول" في النمسا، ثم عاشت في مدينة "تريستيه" في شمال إيطاليا وأصبحت لغتها الأم هي الإيطالية• من هنا أصبح العديد من شخصياته من المهاجرين يلعبون دورًا مهما في الرواية•

صعَّبت شخصية والده المتسلطة العلاقة معه وازدادت الخلافات بينهما أكثر بمرور الوقت لدرجة أن "روبرتو" لم يكد يبلغ سن المراهقة حتى ترك المنزل• كان طبع والدته مختلفًا؛ حيث كانت خيالية وكئيبة، وأصبحت مصدر الإلهام في رواياته الأولى، ثم توجهت لاحقًا للروحانية والتجارب النفسية و التنجيم•



obeikandl.com

أدى موت أخته الصغيرة بداء السل إلى تفاقم الوضع الاقتصادي المتعسر الذي تعيشه العائلة• كان لهذا الفقر الذي أصبح شبحًا دائمًا في "اللعبة المجنونة" جذورا عائلية، لكنه ازداد سوءً بسبب أوضاع البلد الاقتصادية التي تنهار أكثر فأكثر• تنقص"روبرتو ألرت" آمال كبيرة مثل التي يحلم بها "سيلبيو" في الرواية؛ لذلك عمل في أماكن مختلفة فقط ليحارب الفقر، لكن روحه المتمردة جعلته يترك جميع الوظائف•

استقر عندما تزوج مؤخرا في مدينة "بوينوس أيرس"، وبدأ الاتصال بالكتَّاب والصحفيين والفنانين، حيث وجد مكانًا في موقعه المفضل، على الرغم من أنه توفي دون أن يخرج من وضعه الاقتصادي المتأزم• أصبح الأدب بالنسبة له سبيلا لآماله وأحلامه، ولكنه يواجه بالكلمات هذه الأهواء الصبيانية•

*الحلم بالحياة

"سيلبيو أستير" هو بطل رواية "اللعبة المجنونة " الذي يحاول من منزله الفقير تخطى المصاعب ليضع نفسه بجوار الأغنياء والأقوياء والمشهورين• يقتضي هذا الهدف التعلم الفردي والمجتمعي، الذي وُجد في كل العمل؛ لذلك فهي رواية تعليمية•

يحاول "سيلبيو" منذ صباه الخروج من الفقر المدقع؛ لذلك لجأ في البداية إلى السرقة، ثم لجأ لوظائف مختلفة جعلته على اتصال بأماكن متنوعة وأشخاص من طبقات اجتماعية واقتصادية مختلفة• وعلى الرغم من سيطرة كل ما هو هامشي في الرواية، إلا أنها تجربة لتعلم الحياة• أبدت أمه وأخته إذعانا لحكم القدر وقبلتا الفقر والتضحية• يجب أن يعمل "سيلبيو"، لكنه يحتفظ دائمًا بمكان للخيال• لم يظهر الغنى والحب والفخر في الرواية، لكنه يحلم بهما ويربطهما بالأدب وبمحاولة إبداع شيء ما• تساعده كل هذه التخيلات على مواجهة الحقيقة المؤلمة• لا يوجد

مجال للحب في هذه العملية التعليمية•

هذه صيغة فريدة للخيال:

"على الرغم من أن الرغبة في المرأة تترائى لي ببطء، إلا أنني أطور الأحداث وأتوقع أن السعادة ستكون بالنسبة لي في الحب والغنى والمجد•••"

تعتبر طبيعة "سيلبيو" كئيبة وحاقدة؛ لذلك يبدو له المجتمع عدواني وغير مفهوم، وتوجد أمثلة على هذه المشاعر في كل الرواية• هذه العلاقة السيئة الموجودة مع الآخرين تدفعه للتقصي والخروج باستنتاجات عن نفسه: "من أين جاء هذا اليقين غير المنطقي الذي يدير كل أحداث حياتي؟!"

يقدم الراوي شخصيات وجماعات أخرى تواجه نفس المشكلات مثل عائلة "أستير"، لكن "سيلبيو" لا يشبههم؛ لأنه شخصية منعزلة ويشعر بأنه مميز• هذا هو الطريق الذي قدمه الراوي منذ الطفولة وحتى الشباب المبكر مجتازًا بذلك هاجس الانتصار النهائي الذي سلط على عقل "سيلبيو"؛ لأنه بذلك الهاجس يفكر في امتلاك الشهرة والنساء والمال•

## *حكاية مدينة

تدور أحداث هذا العمل الأدبي في مدينة "بوينوس أيرس"؛ فهي "رواية حضرية"• يجب التفكير في مدينة مختلفة عن الموجودة حاليًا، والتي يمكن تذكر الأماكن والشوارع وأساليب الحياة بها أو جهلها• المدينة التي يقدمها "ألرت" فقيرة وموحِشة بالنسبة للبطل، لكنه عزم على محارباتها والانتصار عليها؛ لذلك يظهر في الرواية التمرد والأحداث الغامضة المبالغ فيها• يُعد هذا المكان ملائمًا للإجرام والقهر الإنساني في عالم الأكواخ وعالم تجارة المندثر• أحيانا يطل الوجه الآخر للجحيم الحضاري وهي الأماكن التي يعيش فيها الأغنياء الذين ظفروا بها، تلك التي يستطيع "سيلبيو" بطل الرواية الوصول إليها: "نمر سويًا من إحدى الشرفات

المضيئة• هناك شاب وفتاة يتحدثان في الظل• تنطلق نغمات البيانو من الصالة البرتقالية"•

يعتبر مكان البطل هو التهميش الذي يشاركه فيه الفقراء المتدينين والمهاجرين• إنهم مثله رغم إنكاره لذلك• تشكل هذه الشخصيات المناظر الطبيعية ل "بوينوس أيرس" والتي يقطن فيها المهاجرون حيث شكلت عاداتهم وأعمالهم وطريقتهم في الحديث جغرافيا فريدة، ويعد حي "معرض الزهور" أو الضواحي مثالاً لذلك، ويُذكر وصفهم بإحدى صور كتاب صور "بوينوس أيرس"• تبدو المدينة والأشخاص متحدة في النظرة الشخصية ل"سيلبيو"• لم تبدُ له الأماكن غريبة؛ فكان يشعر بها ويعيش فيها ويتشارك فيها مع الناس•

## *حب المعرفة

يعتبر حب المعرفة هي الفكرة المسيطرة على عقل "سيلبيو" ولها عدة مفاهيم، والمعرفة في هذه الرواية عبارة عن مزيج من المعارف تتمثل في: الرواية والأدب والفيزياء والرياضيات• والرياضيات مع الخيال يمكن أن تمنحه العناصر لإبداع شيء ما• تظهر معارف أخرى إلى جانب هذه المعارف هامشية وهي التصوف وعلم النفس•

بالإضافة إلى هذه المعلومات المكتوبة والتي امتدت في كل الرواية، يوجد معارف أخرى ساعدت على تعليمه، إحداها التجربة التي قدمها له الشارع حيث مواجهة الطموح والشقاء والفساد وأحيانًا المرض، ومن ناحية أخرى يتملكه الفضول تجاه نفسه والآخرين، ويبدو ذلك واضحا في الفصلين الثالث والرابع، وفي هذه الحالات يقارب "سيلبيو" بين خطورة الحياة وخطورة الموت، ويحاول معرفة ردود الفعل العاطفية والعقلية• يتعلم من الملاحظة والقراءات المتعددة دون نهج ودون إرشادات منظمة مثل التي نصحه بها من قبل الكابتن "ماركيز"، على سبيل المثال:

"تمتلك سيادتك ظروف لا يمكن إنكارها، لكن ذاكر واجتهد، فأنت تعتقد أنك فعلت كل شيء، وهذا التفكير في حد ذاته مبدأ ليس أكثر".

*المواقف، اللغة، الحياة

استخدم الراوي في الرواية لغات عديدة للتخاطب، وهي: اللغة العامية، والإجرامية، ولغة الأفاقين، والكلمات الإيطالية؛ استخدمت هذه اللغات في مواقف مختلفة.

سيطر التخاطب ب "أنت" في الحوارات بين "سيلبيو"، و"لوسيو"، و"إنريكي". شُددت الأفعال على طريقة سكان أقليم نهر "لا بلاتا". اعتاد على استخدام لغة الأفاقين في هذه الحوارات؛ للتفريق بينها وبين الحوارات الأخرى.

بعض الشخصيات الأخرى مثل والدة "جايتانو" أو زوجته تشدد الأفعال كلها بنفس طريقة سكان إقليم "لا بلاتا".
فيما يخص المهاجرين، لجأ "ألرت" -في بعض الحالات- إلى إيجاد لغة حوارية في النص.

أظهر استخدام الكلمات الإيطالية، والألمانية، والفرنسية، والأسبانية محاولة "ألرت" في قص حكاية تحترم اللغة العامية للأشخاص. استخدمت الأمثلة لهذا النوع من التخاطب في المشاهد التي تقع في "معرض الزهور"، والتي تختلف عن اللغة المستخدمة بين "سيلبيو والمهندس الذي يتحدث بنفس الطريقة.

## *بداية ونهاية

هي رواية خطية أضاف فيها الكاتب الأنا الذاتية ل "سيلبيو استير"، ويروي حياته في مدينة معروفة بالهجرة والفقر، وهي ليست إبداع ل "روبرت ألرت" بمفرده؛ لأنه -كما يظهر- في التسلسل الزمني أن الفترة التي كتبت فيها لم تكن فترة ازدهار في الأرجنتين.

بمقتضى بعض التصريحات التي تظهر في الرواية نفسها، يبدو أنها كُتبت في مرحلة البلوغ. عُرف من التسلسل الزمني أن هذه الرواية هي الأولى ل"روبرتو ألرت"، ولم يكتبها في مرحلة نبوغه، ومع ذلك لجأ الراوى لرؤية الحاضر على أنه شيء مضى. ربما تكون الرغبة في اجتياز الطفولة والمراهقة برؤيتهم كشيء مضى بالفعل، وبعد اجتياز مراحل عديدة واجه "سيلبيو" قرارا نهائيًا، وفكر من خلاله في تغيير مجرى حياته وقد قرر، لكن ذلك لا يقتضي انتهاء الرواية.

توجد نهاية مفتوحة يمكن من خلالها تخيل كيفية استمرار بحث"سيلبيو". تركت الكتابة بالسطور الأخيرة مذاقًا مرًا ، وأعادت النظر في السيرة الذاتية للكاتب. يبدو أن "ألرت" تخلى عن الحب والرحمة، ومن هنا كانت بعض الأجزاء قاسية تقريبًا، ومع ذلك بدت الشفقة على نفسه وعلى الآخرين. هذه المشاعر المتناقضة دعمت الحبكة الدرامية لهذه القصة.

# ▪الفصل الأول▪

## اللصوص

عندما بلغت الرابعة عشر، بدأ صانع أحذية أندلسي مسن يطلعني على ملذات ومتاعب أدب الجريمة• كان دكانه يقع بجوار دكان حداد ذي واجهة خضراء وبيضاء، في دهليز منزل قديم بشارع "ريفادفيا" بين أمريكا الجنوبية و"بوليفيا"• زينت الأقنعة التنكرية الملونة التي يرتديها القسيسين الذين يروون مغامرات القرصان "مونتبراس" و"الموهيكان وينونجو" واجهة الغرفة القديمة المتسخة• كنا نستمتع كثيرًا ▪نحن الصبية▪ عند الخروج من المدرسة لرؤية الألوان المعلقة على الباب والشاحبة بفعل أشعة الشمس• أحيانًا كنا ندخل لنشتري منه نصف علبة سجائر، وأسوأ ما فيه هو أنه يجب أن يترك المصطبة الصغيرة ليبيع لنا السجائر• كان أحدبًا ذو وجه شاحب وملتحيًا وأعرجًا إلى حد ما، وبدا غريباً؛ حيث كانت قدماه مستديرتين مثل حافة الخف وكعبه راجعًا للخلف، وفي كل مرة أراه فيها، أتذكر المثل الذي اعتادت أمي على ترديده وهو: "أحرص على ذكر الله"•

أعتاد المسن على الحديث معي، وعند اختياره لأحد الأحذية المقطوعة ووضعها في القوالب العديدة ولفائف الجلد، كان يطلعني بمرارة الفشل على معرفة اللصوص الأكثر شهرة في أراضي أسبانيا، أو يقدم لي مبرر الزبون السخي الذي يلمع له الحذاء ويكرمه بعشرين بيزو كبقشيش• ولأنه جشع، كان يبتسم لاستقطاب الزبون، لكن هذه الابتسامة البخيلة لم تفلح في استدارة خدوده، لكنها تجعد شفتيه فوق أسنانه• غمره العطف

على الرغم من كونه إنسان حاد الطباع، و أجرني مجلداته التي حصل عليها في الاشتراكات طويلة المدى بمبلغ خمسة بيزو.

هكذا أعطاني صانع الأحذية تاريخ حياة "ديجو كورينتس" أشهر لص في القرن الثامن عشر قائلا:

هذا الفتى يا بني، يا له من فتى! كان أكثر تألقًا من الزهرة، قتله أحد أفراد مكافحة التهريب والمخدرات.

ارتجف صوته الغليظ وهو يقول:

كان أكثر تألقًا من الزهرة.. لكنه كان ثقيل الظل.

تروى في تفكيره، ثم أردف قائلاً:

تخيل أنت يا بني.. كان يعطي الفقير ما يسرقه من الغني، وكان عنده امراة بكل بيت دعارة.. كان أكثر تألقًا من الزهرة.

في غرفة المهملات المليئة بالروائح الكريهة للغراء والجلد، انتقل بي صوته للحلم بالجبال الخضراء والاحتفالات الغجرية الموجودة في الوديان، واستحضرت أمام عيني كل مدينة جبلية معربدة.

*نعم كان أكثر تألقًا من الزهرة

نفَّس الأعرج عن حزنه ممسكًا بنعل الحذاء لينعمه بالمطرقة فوق صفيحة الحديد المسندة على ركبتي، ثم رفع كتفيه وكأنه ينبذ فكرة داهمته في غير وقتها، وبصق في أحد الأركان، وكحت آلة الثقاب بحركات سريعة فوق الحجر، أشار فيما بعد قائلاً:

-سترى أكثر الأجزاء تشويقًا، عندما تصل إلى الجزء الذي يتحدث عن السيدة "انثيتا" ومطعم العم "بثونيا" ، وأشار عندما أعطاني الكتاب وصاح محذرا: حافظ عليه يا بني، إنه باهظ الثمن

ثم أمال رأسه المغطاة بقبعة رمادية تصل لأذنيه، وعاد لأعماله وقلَّب بأصابعه المتسخة الغراء الموجود في العلبة، وملأ بها الفتحات الموجودة

في الحذاء، واستمر في القرع بالمطرقة توك•• توك•• توك•• توك

هذا الأدب هو تاريخ "خوسيه ماريا "، ومسرحية "شعاع الأندلس"، أو "مغامرات الملتحي"، إنها رائعة في تصويرهم بهذه الهيئة:

"الفرسان على ظهر الأحصنة المزخرفة بطريقة رائعة بالأقنعة التنكرية الداكنة على وجوههم المتوردة، ورؤوسهم المغطاة بالزخارف النباتية التي تعكس سبع إشعاعات براقة، والبندقية الواسعة الفوهة الموجودة في البردعة، وهم يقدمون بسخاء حقيبة أموال بنية اللون لأرملة تحمل طفلها الصغير على ذراعيها وهي تقف عند سفح التل الأخضر؛ عندئذ حلمت أن أكون لصًا أخنق القضاة الفاسدين، وأقوِّم الظلم، وأحمي الأرامل، وتحبني الفتيات الفاتنات•

احتجت لزميلي "إنريكى أيرثوبيتا" في مغامرات مقتبل العمر• كان أنسانًا حقيرًا، سمعت أنه يلقب بالمزور•

توجد هنا كيفية تأسيس السمعة والهيبة اللتان تعينان المبتدئ في هذه المهنة الجديرة بالثناء لكونها احتيال على الفاسقين•

كان "إنريكي" يبلغ الرابعة عشر، عندما خدع عامل بمصنع حلوى• كانت محاولة واضحة دبرت من خلالها الآلهة مصير الصديق "إنريكي" في المستقبل، لكن لم أتفاجأ عند كتابة مذكراتي بمعرفة نزوله بأحد فنادق الدولة المعدة للوقحين والمحتالين؛ لأن الآلهة ماكرة جدًا•

قام العامل المذكور سابقًا لينعش حركة بيع منتجاته بعمل مسابقة، مع إمكانية تقديم جوائز لمن يقدم مجموعة شعارات يوجد بها واحد مميز في اللفافة الداخلية لكل حلوى، ثم قلل الشعارات للغاية واعتمد على صعوبة العثور على شعار دولة "نيكاراجوا"[1]• وكما هو معروف عن هذه المسابقات، فإنها تستميل الصبية -الذين تجمعهم المصلحة

١-نيكارجوا: بلد تقع في أمريكا الوسطى تحدها من الشمال "هندوراس"، و من الجنوب "كوستا ريكا". لغتها الرسمية هي الأسبانية.

المشتركة- ليحسبوا نتائج مجهودهم وسرعة فحصهم الدقيق في كل الأيام؛ عندئذ وعد "إنريكي" زملاءه في الحى -بعض الصبية العاملين بورشة النجارة وأولاد صاحب الفندق- بأنه سيزوِّر شعار "نيكاراجوا" إذا أعطاه له أحدهم• شك أحد الصبية وتردد في معرفة صيت "إيرثوبيتا"، إلا أن "إنريكى" قدم مجلدين عن تاريخ فرنسا للمؤرخ "فرنسوا جويثوت كرهان"؛ حتى لا تصبح أمانته في موضع تساؤل• هكذا تم الاتفاق على رصيف الشارع المسدود ذو المصابيح الخضراء في الاركان، بيوته قليلة، وجدرانه طويلة ومصنوعة من الطوب• تضطجع زرقة السماء على السياج المتباعد، والشىء الوحيد الذي يحزن سكان الزقاق هو الصوت الرتيب للمنشار الحزامي، أو خوار البقر في الحظيرة•

فيما بعد عرفت أن "إنريكي" استخدم الحبر الصيني والدم؛ لينسخ شعار "نيكارجوا" بمهارة بالغة، حيث أن الأصلى لم يختلف عن النسخة• بعدها بأيام أظهر بندقية هواء مضغوط جديدة اشتراها من بائع الروبابيكيا بشارع "ريكونكيستا" (الاسترداد)• حدث ذلك في الوقت الذي كان كل من الشجاع "بونوت" والمقدام "باليت" يرعبان "باريس"• كنت قد قرأت أربعين كتابًا ومجلدات متعددة كتبها "الفينكوت بونسون ديه ترايل" عن ابن السيدة "فيبارت بالتبنى روكامبوليه" المدهش، وسعيت لأن أصبح لصًا محترفًا•

حسنًا: تعرفت على "ايرثوبيتا" في أحد أيام الصيف في مخزن الحي القذر• في ساعة القيلولة الحارة التي تضرب الشارع، كنت أجلس على برميل عشب "أتناقش" مع "إيبوليتو" الذي استغل أحلام والده ليصنع طائرات من هياكل الخيزران• تمنى "إيبوليتو" أن يكون طيارًا، لكنه يجب أن يحل أولا مشكلة الاستقرار الفردي•

كان يشغله في الماضي حل مشكلة الانتقال المستمر واعتاد أن يشاورني في إيجاد الحل المناسب• سمع "إيبوليتو" نظريتي وهو ممسك بمرفقيه الجريدة الملطخة بدهن الخنذير، يقف بين سلة الجبنة وعصى الصندوق

الملونة، سمع بكل تركيز:

تقنية الساعة لا تصلح للمروحة. ضع لها موتورًا كهربائيًا صغيرًا، والبطاريات الجافة في جسم الطائرة.

-إذن، فهي مثل الغواصات.

-أي غواصات؟! الخطر الوحيد أن البطاريات الموجودة بالسوق ستحرق لك الموتور، لكن الطائرة ستسير بهدوء أكثر، وقبل أن ينفذ شحن البطارية سيكون لديك وقتٌ كافٍ لتغييرها.

-أنت، هل يستطيع الموتور التحرك بدون جهاز الإرسال اللاسلكي؟

-سيتحتم عليك أن تدرس هذا الاختراع. هل تعرف أنه سيكون رائعًا؟

في هذه اللحظة دخل "إنريكي".

-أنت "إيبوليتو"... إذا سمحت... تقول لك أمي أعطني نصف كيلو سكر حتى المساء.

-لا أستطيع، طلب مني المسن ألا أبيع شيئًا حتى تحدد الأسعار.

قطب "إنريكي" جبينه قليلاً قائلاً: أدهشتني يا "إيبوليتو"!

أشار الموفق "إيبوليتو" قائلاً: لو كان عليَّ لكنت أعطيتك، وأنت تعلم... لكنه المسن.

أشار لي وهو مسرور بتغيير موضوع المحادثة، ثم أشار ل"إنريكي" قائلاً: ألا تعرف "سيلبيو"؟ إنه صاحب المدفع.

تهلل وجه "إنريكي ايرثوبيتا" بشكل مختلف.

_آه... إنه سيادتك؟! سعدت بلقائك. قال لي راعي الحظيرة أنه كان يطلق الصاروخ هكذا ويصدر صوتا مدويا.

أثناء حديثه الطويل كنت ألحظه، كان طويلاً ونحيفًا، يتدلى شعره المموج على جبهته المحدبة الممتلئة بالنمش، عيناه رماديتان ومحولَّة قليلاً، يرتدي بدلة سوداء مناسبة لشخصيته، صنعت على يد شخص غير خبير بأعمال الحياكة. اتكأ على حافة المنضدة واضعًا لحيته في كفه، كان يبدو متأملاً. سرني تذكره مغامرة مدفعي الشهيرة.

اشتريت من بعض عمال شركة كهرباء أنبوبا ورطل رصاص، صنعت بهذه المواد ما أسميته "مدفعًا"، صنعته بهذه الطريقة:
أدخلت أنبوب الحديد في قالب خشبي مسدس الشكل ومبطن من الداخل بالطين، ملأت الفراغ بين كلا الجانبين بالرصاص المصهور، بعدما كسرت الغطاء هذبت الكتلة بالمبرد الخشن وثبت المدفع بدعامات من الصفيح فوق قطعة خشبية مصنوعة من خشب أغلظ مما يصنع منه صندوق الكيروسين.

كان مدفعي رائعًا، به قذائف بقطر اثنين بوصة، توضع شحنة القذائف في أكياس من الدوبارة المملؤة بالبارود، بينما كنت ألمس اختراعي الصغير فكرت في الأتي:
هذا المدفع من الممكن أن يقتل، هذا المدفع من الممكن أن يدمر، وكان اليقين من حدوث خطر مذعن ومميت يجعلني أنتفض من السعادة.

فحصه المعجبون من صبية المدينة، وهو ما أظهر لهم عبقريتي، ومنذ ذلك الحين انتشر في الحملات المنظمة لسرقة الفاكهة أو اكتشاف الكنوز المدفونة في الأماكن المقفرة التي تقع وراء طريق "مالدونالو" عند كنيسة "سان خوسيه ديه فلورس".

في اليوم الذي جربنا فيه المدفع أصبح مشهورًا. قمنا بالتجربة بين كومة من النباتات توجد عند مرتع خيل كبير بشارع "أبيانيدا" قبل الوصول إلى شارع "سان ادواردو". أحاط بي الصبية عندما كنت أشحن فوهة المدفع بحماس زائف، ولكي نبرهن على براعته في القذف، صوَّبنا نحو مستودع الزنك الموجود بأعلى سور ورشة نجارة قريبة من مورد الماء. قرَّبت بسعادة عارمة عود الثقاب (الكبريت) من الفتيل، ووميض لهيب قاتم تحت ضوء الشمس، وفجأة طوقنا انفجار مروع وسط ضباب كريه من الدخان الأبيض. ظللنا مندهشين للحظة من المعجزة، بدا لنا في هذه اللحظة أننا اكتشفنا قارة جديدة، أو أننا سُحرنا وتحولنا لملائكة الأرض. فجأة صرخ شخص قائلاً: لنهرب... الشرطة!

لم يوجد وقتٌ كافٍ لانسحاب مشرف، حيث اقترب حارسان بمنتهى السرعة، تشككنا في الأمر ، وفجأة هربنا بمنتهى السرعة تاركين المدفع في أيدي العدو•

انتهى "إنريكي" قائلاً: أنت••• إذا احتجت معلومات علمية، فلديَّ في المنزل مجموعة مجلات تدعى "ألريديدور ديل موندو" (حول العالم)، ويمكن أن أعيرها لك•
منذ ذلك النهار حتى ليلة الخطر العظيم، كانت صداقتنا مثل صداقة "أورستس" و"بيلادس[٢]"•

ياله من عالم رائع اكتشفته في منزل عائلة "ايرثوبيتا"! أناس لا تنسى! كانوا ثلاثة رجال وامرأتين• تدير الأم المنزل، وهي سيدة شمطاء، عيناها صغيرتان كالسمك، أنفها طويل يتمتع بحاسة شم قوية، والجدة الحدباء الصماء السمراء كالشجر المحروق من النار، باستثناء ضابط الشرطة، كان الكل يستريح في هذا الكهف المكفهر بكسل ممتع وأوقات فراغ تنقضى في قراءة روايات "دوماس"[٣]، ثم إلى نوم القيلولة الهادئ، وأحاديث المساء بين القيل والقال•

طرأت الاضطرابات منذ بداية الشهر، وتمثلت حينئذ في ردع الدائنين عن التودد لسكان "جاليثيا" القذرين وتهدئة الناس السوقية الذين يصيحون دون أدنى ذوق على الأبواب مطالبين

المستوى في الحزب المحافظ؛ لهذا السبب علم باستحالة طردهم من المكان• انتهى المالك إلى استسلامه لحكم القدر منتظرًا وجود نظام سياسي جديد• وصلت الوقاحة المفرطة لهؤلاء الفسقة لأبعد مدى؛ حيث أرسلوا "إنريكي" ليطلب منه تذاكر لدخول الكازينو الذي يعمل فيه ابنه

٢-أورستس و بيلادس: صديقان في الأساطير اليونانية. كان كل منهما يريد أن يفدي الآخر بروحه؛ لذلك أصبحا رمزًا للصداقة.
٣-دوماس: كاتب وروائي وكاتب مسرحي فرنسي. معروف في البلاد المتحدثة بالأسبانية بأ "ليخاندرو دوماس".

بوابًا•
بسداد قيمة البضائع التي منحت بالتقسيط بمنتهى السذاجة•

كان "جرنوييت" السمين صاحب الكهف من سكان "ألزاس" بشرق فرنسا، وكان يبلغ السبعين عامًا، وهو مصاب بداء الروماتيزم والوهن العصبي، وانتهى بتقبل عدم انتظام عائلة "ايرثوبيتا" في دفع الإيجار والذي أحيانًا تدفعه له• كان يتحدث في الماضي "دون جدوى" عن طردهم من المكان، لكن عائلة "إثيوبيتا" أقارب لبعض القضاة القدماء وأناس أخرى بنفس
ياااه! يا لها من تعليقات ممتعة وتأملات مسيحية يمكن أن تُسمع من الجيران أثناء التسامر عند دكان الجزارة في الحى؛ فهم يعلقون على جيرانهم بأدب•

قالت والدة طفلة متدينة مشيرة لأحد شباب عائلة "ايرثوبيتا" الذي تملكته دفعة شهوانية، فقام بإظهار عورة الفتاة!
ـ رأيتِ يا سيدة، لم أمسك به؛ كى لا يسوء الأمر•
قالت والدة "إيبوليتو" السمينة ذات الوجه شديد البياض، والتي يزداد وزنها باستمرار، تمسك بذراع الجزار! نصحتها يا "دون سيجوندو" بألا تثق فيهم حتى ولو على سبيل المزاح؛ فهم يضعون لنا المسمار ولا نقول شيئًا•
هممهم الرجل قوي البنيان ملوحًا بسكينته الكبيرة حول الكبد قائلاً!فقدنا الأمان••• فقدنا الأمان!

ياااه! كان "آل ايرثوبيتا" مرحين، تجرأ الخباز وغضب من تأخرهم في دفع الديون وتشاجر عند الباب مع إحدى الفتيات عندما أراد حظه العثر أن يسمعه المفتش العام الذي كان في زيارة للمنزل بالصدفة• اعتاد هذا المفتش على حسم أي قضية بالركلات، ولأنه أغتاظ من وقاحة الخباز في مطالبته بالديون، طرده ضربًا باللكمات عند الباب، وهذا لم يكن درسًا تأديبيًا له فقط، بل لكل الذين فضلوا عدم الحصول على أموالهم• في

النهاية، كانت حياة هذه العائلة مهزلة كبيرة

كانت الفتيات أعمارهن فوق السابعة والعشرين، ولم يتزوجن، يسعدن بقراءة أعمال "تشاتروبرياند"، و"لانجيديثين إن مارتيه"، و"تشربوليس"، وهذا أقنعهن بأنهن شكلن نخبة مثقفة؛ ولهذا السبب أطلقن على الفقراء لقب "الرعاع". أطلقن هذه الكلمة على حارس المخزن الذي يسعى لجمع الفاصوليا، والتاجرة التي وُجد تحت وعائها أمتار من الدانتيل، وعلى الجزار الذي كان يصرخ من الغيظ عندما ينادونه من الشبابيك ويقولون له رغمًا عنه: "حتمًا سندفع لك الشهر القادم".

كان الإخوان الثلاثة المشعرون النحفاء الكسالى يقومون بحمامات شمس كثيرة بالنهار ويذهبون في الليل للتمتع بالعلاقات الغرامية العابرة بين فاسقات الحي، والسيدتان العجوزتان الثرثارتان والمتعصبتان لدينهما كانتا تتشاجران في كل دقيقة على توافه الأمور أو تجلسان مع الناس في الصالة العتيقة وهما تواصلان القيل والقال مع الفتيات اللاتي يتلصصن من وراء الستائر؛ ولأنهن ينتسبن لضابط التحق بجيش "نابليون" الأول سمعتهن كثيرًا وهن يحلمن بالأساطير الأمبرالية، ويستحضرن نبل الماضي المتألق وهن يجلسن في الظل الذي يجمل وجوههن المنهكة، أثناء إشعال العامل الفانوس الأخضر بالغاز على الرصيف المهجور.

ولأنهن لم يبقين الخادمات، ولأن الخادمات لن يتحملن غصب أشباه الآلهة الثلاثة المتشردين المشعرين، ولا مزاج الفتيات السيئ ونزوات الساحرتين صاحبتا الأسنان الطويلة، كان "إنريكي" هو الشخص المناسب لتولي هذه الوظيفة الجيدة وتحمل مسئولية الخزنة الاقتصادية، واعتاد كثيرًا على الشراء بالتقسيط، وأصبحت وقاحته في الشراء غير مسبوقة ومنقطعة النظير، سلىً "ايرثوبيتا" أوقات فراغه في الرسم؛ لأنه كان نابغا ذو كياسة وهو ما لم يدع مجالاً للشك في أنه يوجد دائمًا أناس حقيرة، لكن لديهم حس جمالي.

تواجدت باستمرار في منزله؛ لأنه لم يكن لديَّ شيء لأفعله، وذلك لم يعجب العجوزين الكريمتين اللتين لم أكن شيئًا بنظرهما•

وبهذا الوئام مع "إنريكي"، والمحادثات الطويلة عن اللصوص والسرقة، تولَّد لدينا الرغبة في الإجرام وإيذاء الأخرين

قال لي "إنريكي" وهو يتملكه الدافع لطرد اللاجئين السياسيين المهاجرين من فرنسا إلى

"بوينوس ايرس"، وقد صورتهم الصحفية "سويسا ريلي" في مقالها برفقة بعض الصور المعبرة:

رئيس الجمهورية لديه أربعة لاجئين فرنسيين يعتنون به•

ضحكت قائلاً: دعك من هذه الأكاذيب•

-أقول لك هذا أكيد، فهم كذلك

وفتح ذراعيه كالمصلوب ليعطي فكرة عن سعة صدر المجرمين المذكورين•

لا أتذكر كيف أقنعنا أنفسنا بأن السرقة عمل محترم وجميل، لكن أعرف أنه بالاتفاق المشترك عزمنا على تنظيم نادي اللصوص الذي التحقنا به وحدنا في ذلك الوقت•

لاحقًا سنرى•• ولكي نبتدئ بمهارة، قررنا أن نبدأ مسارنا المهني بسرقة المنازل غير المسكونة، وهو ما تم هكذا: خرجنا في خفية ونحن مهندمين بعد الغداء في الساعة التي تكون فيها الشوارع غير مأهولة للتجول في شارع "فلوراس" أو شارع "كاباييتو"• كانت أدواتنا في العمل هي: مفتاح إنجليزي صغير، ومفك، وبعض الجرائد لنضع عليها الأشياء المسروقة•

عندما رأينا إعلان عن تأجير عقارات، توجهنا لنعرف التفاصيل بكل أدب وبوجه مقتضب• بدينا مثل اللصوص المحترفين• ومرة واحدة وهم يسلموننا المفاتيح ليعرفوننا بالظروف المعيشية في المنازل الإيجار خرجنا مسرعين• لم أزل أتذكر الفرحة التي شعرت بها عند فتح الأبواب• دخلنا باندفاع وتجولنا في الحجرات مقيِّمين بنظرات سريعة جودة المسروق



obeikandl.com

طمعًا في الغنيمة•

إذا كانت توجد إنارة كهربائية، كنا سنسرق الكابلات، ودوايات المصابيح، والأجراس، والمصابيح، والمفاتيح، والنجف، والأباجورات، والبطاريات، وسرقنا من الحمام الصنابير المطلية بالنيكل ،وصنابير الأحواض ؛لأنها مصنوعة من البرونز، ولم نحمل الأبواب والشبابيك؛ حتى لا نصبح حمالين• عملنا مندفعين ببشاشة مؤلمة، وعقدة واقفة في الحلق، وبعجلة الممثلين الذين يبدلون الملابس سريعًا في الدرابيس• ضحكنا بلا سبب وارتجفنا من لا شيء• تعلقت الأسلاك بشقوق الحائط من قوة العمل، وتلطخت الأرضيات المونة المتربة بقطع الجبس، وفي المطبخ، كانت المواسير المصنوعة من الرصاص تنقط قطرات متواصلة من الماء، وفي بضع ثوانٍ جعلنا المنزل بحاجة لإصلاح كبير، ثم تركت أنا أو "ايرثوبيتا" المفاتيح واختفينا سريعًا•

كان مكان اللقاء دائمًا بعد ذلك وراء دكان الرصَّاص• كان الرصَّاص صورة للرجل الأبيض الحقير، الذي ظهر له بمرور السنين بطن وقرون حيث عرفت عنه أنه أحتمل بصبر الرهبان خيانات زوجته• عندما اكتشف سلوكها بطريق غير مباشر، أجاب بكل برود أن زوجته تعاني من تعب الأعصاب، وإزاء هذا الدليل المؤكد لم يملك إلا الصمت، برغم أنه كان في عمله مثل النسر• كان الرجل ذو الأرجل المقوسة يراجع أشيائنا الصغيرة، ويزن بيده الأسلاك، ويجرب المصابيح؛ ليتحقق إذا كانت الأسلاك الحرارية محروقة، يشم الصنابير، ويبرود بالغ يحسب ثم يعيد الحساب من البداية حتى ينتهي بأن يقدم لنا عُشر ثمن المسروق• إذا تناقشنا أوغضبنا يحدق بعينيه التي تشبه عين البقر ويضحك بمكر بوجهه المستدير، ودون أن يدع لنا مجالاً للحديث يضربنا ضربات خفيفة على ظهرنا، ويوصلنا لمدخل الشارع وفي أيدينا أكبر نعمة في العالم وهي المال•

لكن لن يُعقل أننا سنحصر بطولاتنا على المنازل الخالية بمفردها• من مثلنا يحصلون على الأشياء بالمجان! ترقبنا باستمرار المنازل الخالية، وانقضضنا على ممتلكات الآخرين بسرعة الطائر الجارح حين ينقض على

فريسته• إذا دخلنا المقهى ووجدنا على المنضدة طاقم أدوات المائدة أو سكرية والجرسون مشغول، نسرق الاثنين؛ وبالفعل، أي شيء نجده على طاولات المطبخ أو في أي منعطف نعتقد أنه ضروري لمصلحتنا المشتركة• لم نترك كأسًا أو طبقًا أو سكينًا أو كرات البلياردو• أتذكر جيدًا أن "إنريكي" سرق معطفًا للمطر بمهارة من مقهى مزدحمة في إحدى الليالي الممطرة، وفي ليلة أخرى سرقت عكازًا بمقبض ذهبي• كانت أعيننا تدور مثل الكرة ومفتوحة مثل الطبق؛ لتراقب مصالحها وتبصر ما تشتهيه• كنا هناك مبتسمين ومسرورين مرتاحي البال، نطلق النكات، الأصابع مستعدة، والنظرة حادة؛ حتى لا تخطئ الهدف مثل النشالين قليلي الخبرة•

مارسنا هذه المهارة الطاهرة في الدكاكين، وكان الشيء الذي يُرى ولا يصدق هو كيفية استمالتنا للصبية الذين يعتنون بالطاولات أثناء نوم صاحب الدكان في القيلولة، وبحجة أو بأخرى كان "إنريكي" يأخذ الصبي للفاترين الموجود بالشارع؛ ليسعر له بعض السلع، وإن لم يوجد أحد بالمكتب أفتح الفاترين سريعًا وأملأ الشنط بعلب الأقلام الرصاص والمحابر الفنية، وفي مرة واحدة فقط سرقنا أموالاً قليلة من خزنة حديدية كانت بلا جهاز إنذار، وفي مرة أخرى، أخدنا من دكان لبيع الأسلحة كرتونه بها دستة من المطاوي الفولاذية المذهبة ذات المقبض المصنوع من اللؤلؤ، وعندما لا نستطيع فعل شيء طوال النهار، كان الاكتئاب يعتلي وجوهنا حزنًا على عدم مهارتنا ويخيب أملنا في المستقبل• عندئذ نتجول بمزاج سيئ حين يلوح لنا شيء فنأخذ ثأرنا منه•

لكن عندما كان يزدهر العمل ونحصل على المال، ننتظر إحدى الأمسيات الممطرة، ونخرج بالسيارة، يااااه إنه الشره الذي يطوف في شوارع المدينة المغمورة بماء المطر! نرتاح على الوسائد الرقيقة، ونشعل سيجارة مخلفين وراءنا أناسا متضايقين من السير تحت الأمطار، نتخيل كأننا نعيش في باريس أو لندن الضبابية، نحلم بصمت، تعتلي الابتسامة الصامتة الشفاه المتسامحة، ثم نتناول الشيكولاتة بالفانيليا في أحد دكاكين الحلوى الفاخرة، وعندما نستكفي نعود في قطار المساء بهمة مضاعفة؛

بسبب إرضاء رغباتنا، وقوة كل مصدر للإزعاج حولنا: للأمام، للأمام.
قلت في يومًا ما: يجب أن نكون مجموعة حقيقية من الصبية الأذكياء.
قال "إنريكي" مجادلاً: المشكلة أنه لا يوجد منهم سوى القليل.
-معك الحق، لكنهم لم ينعدموا.

بعد أسابيع قليلة من هذا الكلام، وبفضل اهتمام "إنريكي"، انضم إلينا شخص يدعى "لوسيو". كان أحمقًا، صغير الجسد وهزيل من كثرة الاستنماء، بالإضافة لوجهه المتسم بالوقاحة، يثير الضحك عند النظر إليه، عاش تحت وصاية عماته العجائز الورعات اللاتي قلَّما يعتنين به أولا، كان العمل المفضل والأساسى لهذا الأحمق هو معرفة الأشياء المبتذلة بحذر كما لو كانت أسرارا مخيفة، وهذا ما جعله ينظر شزرًا ويحرك ذراعيه كممثلي السينما الذين يمثلون أدوار الأوغاد في الأحياء الفقيرة. قلت ل"إنريكي": سينفعنا هذا المجنون قريبًا. ولأنه أشعل الحماس في الرابطة الجديدة، كان قراره المتحمس والذي أصدره بإشارة غريبة تشبه حركة روكامبوليه[٤] مبشرًا بالخير.

لأننا لا يمكن أن نظل دون مكان لنجتمع فيه، ولكونه شيئًا لا غنى عنه؛ اخترنا المكان وأسميناه (نادي فرسان منتصف الليل) بناءً على اقتراح "لوسيو".

كان النادي في الجزء الخلفي من منزل "إنريكي"، وهو عبارة عن حجرة خشبية ضيقة ممتلئة بالغبار، ويتدلى من سطحها الخشبي خيوط العنكبوت الطويلة، كانت تقع أمام المرحاض ذي الجدران السوداء المتصدعة. توجد في الأركان أكوام ملقاة من الدمى الفاسدة والمشوهة التي تخص بهلوان فاشل( أحد أصدقاء عائلة ايرثوبيتا)، وصناديق عديدة بها جنود مصنوعة من الرصاص ممزقة الأشلاء بشكل شنيع، وأكوام من الملابس المتسخة، وصناديق مكتظة بالمجلات القديمة والجرائد. يُفتح

٤-روكامبولية: شخصية أدبية أبتكرها الكاتب الفرنسي "بيريه أليكس بونسون" في القرن التاسع عشر. كان يجسد أحيانًا دور المغامر، وأحيانًا أخرى دور اللص.

باب الحجرة الصغيرة المتسخة على صالة مظلمة مبنية من الطوب اللبن المكسور الذي يرشح طينًا في الأيام الممطرة.
سأل أحد أفراد الأسرة: ألا يوجد احد؟
أغلق "إنريكي" الباب الصغير البالى الذي يُرى من نافذته الاسطوانات الكبيرة المصنوعة من القصدير.
أجاب أحد آخر: إنهم يتحدثون في الداخل.

تواجدنا في المكان بمنتهى السهولة. أظهر "لوسيو" سجائر مصرية، فكانت شيئا جديدًا يطرأ علينا، وبكل رشاقة أشعل عود الكبريت في نعل حذائه، ثم قال: سنقرأ جريدة "لاس سيسيونس" (الجلسات).

ولكي لا ينقص شيء في النادى المذكور آنفًا، كانت توجد دفترا للجلسات يقيد به مشاريع الأعضاء، كذلك كان يوجد ختم مستطيل صنعه "إنريكي" من الفيلين كان مرسومًا عليه منظرًا رائعًا لقلب مطعون بثلاثة خناجر، ويوقع على نهاية كل ورقة فيها، وكل توقيع له ختمه الخاص. يمكن أن يُقرأ به أشياء كالتالي:
اقتراح "لوسيو": من المستحسن أن ننسخ نماذجا في الشمع لمفاتيح المنازل التي نزورها؛ لكى نسرق في المستقبل دون الحاجة للطفاشة.

اقتراح "إنريكي": ستُعمل أيضًا خريطة للمنزل الذي يستخرج له عينة مفاتيح. ستحفظ هذه الخرائط مع الملفات السرية للنظام ، ولمزيد من الراحة لابد أن تذكر مواصفات العمارة.

الاتفاق العام للنظام: تنصيب العضو "إنريكي" كرسام ومزور النا

اقتراح "سيلبيو": لإدخال غاز النيتروجلسرين[٥] في مكان محكم، خذ بيضة وأخرج منها البياض والصفار، واحقن المادة المتفجرة بالحقنة، إذا

٥-النيتروجلسرين: مادة سائلة شديدة الانفجار وهى أساس مركب الديناميت. اكتشفها العالم الإيطالي "سكانيو سوبر برو".

حطمت الأحماض الموجودة في النيتروجلسرين قشرة البيضة، أصنع قميصا من قطن البارود، ولن يشك أحد أن القميص•

اقتراح "إنريكي": لابد أن يعتمد النادي على مكتبة علمية؛ حتى يستطيع أعضاؤه السرقة والقتل وفقًا لأكثر المناهج الصناعية حداثة، وبعد انقضاء ثلاثة أشهر في النادي، يجبر كل عضو على حمل مسدس ماركة "براوننج"، وقفازات مطاطية، ومائة جرام من الكلوروفورم[٦]• سيكون الموظف المختص بالشأن الكيميائي هو العضو"سيلبيو"•

اقتراح "لوسيو": يجب أن تسمم كل الرصاصات بحامض "البروسيك"، وستختبر قوتها السامة بتصويب طلقة نارية على ذيل كلب• لابد أن يموت الكلب بعد عشر دقائق•

-قال "لوسيو": أنت، "سيلبيو"•

-تساءل "إنريكي": ما الأمر؟

-قال"لوسيو": أفكر في شيء• يجب أن ننشئ نادٍ بكل قرية في الجمهورية•

-قلت: لا••• أهم شيء هو أن نستعد للعمل غدًا• ليس المهم الآن أن نشغل أنفسنا بهذه المهاترات•

قرب "لوسيو" كومة من الملابس المتسخة التي يستخدمها كأريكة، وواصل حديثه قائلاً: فائدة تعليم النشال هي إكسابه رباطة الجأش وهذا أهم شيء في هذه المهنة، بالإضافة لذلك، فإن ممارسة الخطر تجعلنا نعتاد على الحذر والحيطة•

-قال "إنريكي": دعنا من النظريات، ولنتحدث عن أمر مهم• يوجد عند الحائط الخلفي لمحل الجزارة•••

حائط منزل "ايرثوبيتا" هو حائط مشترك مع الحائط المذكور• رجل أمريكي يحرس السيارة كل ليلة، ثم يذهب لينم في حجرة صغيرة استأجرها بمنزل كبير في شارع "ثاموديو"• ما رأيك يا "سيلبيو" أن نسرق

٦-الكلوروفورم أو ثلاثى كلورو ميثان: مركب عضوى صيغته الكيميائية CHCl3. وهو سائل عديم اللون، سهل التطاير. للكلوروفورم تأثير تخديرى، كم أنه مذيب جيد لمختلف المواد الكيميائية خاصة الزيوت، غير قابل للاشتعال، وله رائحة خفيفة مميزة له.



obeikandl.com

المولد والكالاكس من السيارة؟
-هل تعرف أن ذلك أمرًا خطيرًا؟!
-ليس هناك خطر• سنقفز من فوق السور، والجزار ينام مثل الحجر لا يدري بشيء، ويتحتم إذًا أن نلبس قفازات بأيدينا•
-والكلب؟!
-إذًا، فلماذا تعرفت أنا على الكلب؟
-أعتقد أنه سيثير ضجيجًا مروعًا•
-ما رأيك يا "سيلبيو"؟
-لكن يكون في معلومك أننا سنزيل أكثر من مائة مقبض من المولد•
-العمل جميل، لكنه صعب•
-ماذا قررت يا "لوسيو"؟
-المكبس؟••• واضح••• سأرتدي البنطال القديم، لن يتمزق مني•••••
-وأنت "سيلبيو"؟!
-سأخرج عندما تنام المرأة العجوز•
-وفي أي ساعة سنتقابل؟
-انظر يا "إنريكي"، هذا العمل لا يعجبني؟
-لماذا؟!
-لا يعجبني• المال والكلب الذي لن ينبح ولو تركت أيدينا أثر••• لا يعجبنى• أنت تعلم أنني لا أرفض أيَّ عمل، لكن هذا لا يعجبني؛ لأنه قريب جدًا والشرطة لها عيون•
-إذًا فلن نقوم به•
ضحكنا وكأننا انتهينا من الخطر•

هكذا قضينا أياما مليئة بالمشاعر الفريدة، واستمتعنا بالأموال المسروقة• كان هذا المال يمثل لنا قدرًا ثمينًا، كان يبدو وكأنه يحدثنا بلغة حنونة• بدت تذاكر البنك في غاية الأهمية بصورها الملونة، وخشخشت العملات بمنتهى السعادة في الأيادي المشعوذة• حقًا، جعلنا المال المكتسب بالغش والخداع نتظاهر بالاحترام المبالغ والذكاء فيه• كان له تأثيرعظيم، بدا وكأنه يهمس في الأذان بمدح مبهج ومكر مثير• لم يكن المال حقيرًا وبغيضا

حتى يُلعن؛ لأنه يجب اكتسابه بالأعمال الشاقة، لكنه كان يتطاير بسرعة بالغة؛ فهو مال ليس فيه بركة، هو مال حقير مثل الراقص الذي تشبه رائحته رائحة النبيذ المعتق الذي يكتسح الولائم الصاخبة الرائعة• كانت أعيننا خالية من القلق، ويمكن القول بأن وجوهنا كانت محاطة بهالة من الغطرسة والوقاحة لعلمنا بأنه إذا عرفت تصرفاتنا يمكن أن نمثل أمام قاضي التحقيقات•

أحيانًا كنا نتحدث ونحن جالسين حول مائدة بأحد المقاهي: ماذا كنت ستفعل إذا وقفت أمام القاضي المختص بشئون الجرائم؟

-أجاب "إنريكي": أنا•• كنت سأحدثه عن عالم الطبيعة "داروين" والفيلسوف "ليه دانتيك" (كان إنريكي ملحدًا) .

-وأنت "سيلبيو"؟

-أنكر دائمًا حتى ولو قطعوا رقبتي•

-والعصا الكاوتشوك؟!

نظرنا لبعضنا البعض برعب، وتملكنا الذعر من "العصا الكاوتشوك"، هذه العصا التي لا تترك أثرًا بالجسم، يعذب بها اللصوص بقسم الشرطة، إذا تأخروا عن الاعتراف بالجريمة•

-جاوبت بغضب مكبوت بشكل سيئ: لن يقبضوا عليَّ قبل القتال•

عندما نطقنا هذه الكلمة، تراخت أعصاب وجوهنا، وسكنت أعيننا ، وظلت محدقة بالمجزرة الخيالية بعيدة المدى ، واتسعت خياشيم الأنف لاستنشاق رائحة البارود والدم•

-أجاب "لوسيو": لذلك يجب أن تسمم الرصاصات•

-فقلت: وتصنع قنابل• لن يكون هناك شفقة• يجب أن نفجر القنابل، ونرعب رجال الشرطة• بمجرد أن يغفلوا سنطلق الطلقات النارية، وسنرسل القنابل بالبريد للقضاة•

هكذا تحدثنا حول مائدة المقهى مسرورين من حصانتنا من العقاب أمام الناس الذين لا يعرفون أننا لصوص• كان الهلع يعتصر قلوبنا من التفكير بنظرات الفتيات الجديدة التي تمر بجوارنا، إذا علمن أن الشباب المهندمين

ليس أكثر من لصوص•

اجتمعت حوالي الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل مع "إنريكي" و"لوسيو" على أحد المقاهى؛ لننهي كل التفاصيل المتعلقة بالسرقة التي سننفذها• اخترنا الزاوية الأكثر انعزالا، و جلسنا على منضدة بجوار الواجهة الزجاجية• كانت قطرات المطر البسيطة تنقر على الزجاج، عندما كانت تعزف الفرقة الموسيقية الجزء الأخير من إحدى الرقصات•

-هل أنت متأكد يا "لوسيو" أن البوابين غير موجودين؟!

-بكل تأكيد• توجد الآن أجازة وكل منًا ينطلق إلى مكانه•

تحدثنا عن أننا لن نسرق إلا المكتبة فقط• أسند "إنريكي" خده على يديه مفكرًا، وظلَّلت حافة القبعة عينيه، كنت قلقًا•

نظر "لوسيو" حوله بنظرة الرضا من عيون رجل يحب الحياة، ولكي يقنعني بعدم وجود أي خطر، قطَّب حاجبيه وأخبرني سرًا لعاشر مرة: أنا أعرف الطريق• ما الذي يقلقك؟! ليس هناك أكثر من أن نتخطى السياج الحديدي الذي تفصل الشارع عن الفناء، والبوابون ينامون في حجرة منعزلة في الدور الثالث، والمكتبة موجودة بالدور الثاني في الجانب الآخر•

-قال "إنريكي": المسألة سهلة، وهذا واجب• سيكون العمل جميلاً إذا استطاع أحدنا أن يأخذ القاموس الموسوعي•

-وبأي شيء سنحمل الثمانية وعشرين جزءً؟ أنت مجنون، على الأقل ستستنجد بسيارة نقل•

مرت بعض السيارات بأغطيتها المنبسطة، وأضواء الفوانيس الساطعة وهي تقع على الأشجار وترسم بقعًا مهزوزة على الطريق• قدم لنا الخادم قهوة• مازالت الموائد حولنا ممتلئة• كان الموسيقيون يتحدثون على خشبة المسرح، ويصل ضجيج عصى البلياردو التي يصفق بها بعض المتحمسين الذين يشجعون الكرمبولا الصعبة•

-هيا نلعب القمار•

-دعك من لعب الورق يا رجل.
-يبدو أنها تمطر.
-قال "إنريكي": أحسن، هذه الليالي تُسحر مدينة "موتبارنس"، وتعجب "تينارديير" الذي كان يقول: يا لكثرة أعمال الفيلسوف "خوان جاكوبو روسيه"! هذا "التينارديير" كان ذكيًا، وهذا الجزء من اللغة الغجرية كان رائعًا.
-مازالت تمطر؟!

عاودت عيناي النظر إلى الميدان الصغير. كانت الأمطار تتساقط بميل، والرياح تتأرجح بين صفيّ الأشجار وسط ستائر الظلام. شعرت وأنا أنظر لأغصان الشجر النضرة والأوراق المضاءة بضوء فوانيس السيارات الأبيض أنني أرى الحدائق المرتجفة بإحدى ليالي الصيف؛ بسبب ضجيج الحفلات المبتذلة، وفرقعة الصواريخ الحمراء والزرقاء. أحزنني الاستحضار اللاشعوري لهذه الذكرى.

منذ الليلة الماضية المشؤومة احتفظت بذاكرة قوية. عزف الموسيقيون أغنية "قبلني". تنتشر هذه الأغنية الحزينة القديمة في المجتمع الشعبي. يُعتقد أن هذه الأغنية لفرقة موسيقية من المهاجرين الفقراء كانوا يتغنون بها في كابينة بإحدى الباخرات العابرة للمحيطات، عندما كانت تتغلغل أشعة الشمس في المياه الخضراء. أتذكر كيف لفت انتباهي وجه عازف الكمان برأسه السقراطية اللامعة من الصلع. يوجد فوق أنفه نظارة من الزجاج الأسود. يبدو عناء هذه الأعين المغطاة بسبب الانحناء الإجباري للرقبة فوق النوتة الموسيقية.
-سألني "لوسيو": هل مازلت تتقابل مع "الونورا"؟
-لا، انقطعت علاقتنا. لم ترد أن تظل خطيبتي أكثر من ذلك.
-لماذا؟!
-لأنه كذلك.

توغلت داخلي قوة صورة فتور عازفي الكمان التي كانت تتراءى أمامي• عندما كنت أنظر لوجهها الهادئ الرائع، كنت أشعر بأنه تنطلق من داخلي استغاثة• يااااه! كم أشعرتني ابتسامتها بالحزن في تلك الساعة البعيدة• حدَّثتها من على المائدة بكلمات نابعة من الروح بهذه الطريقة عندما كنت أستمتع بمرارة لذيذة أكثر من الشهوانية•

-اااااه! آه لو كنت أستطيع أن أقول لك ما تريدينه!••• هكذا••• بموسيقى أغنية "قبلني"••• وأقنعك بهذا البكاء••• حينها يمكن••• لكنها أحبتني أيضًا••أليس حقيقة أنك أحببتيني يا "الونورا"؟!

-توقف المطر••• لنخرج•

ألقى "إنريكي" بعض النقود على المائدة وسألني: أمعك المسدس؟

-نعم•

-لن يخطئ الهدف؟!

-جربته في يوم أخر• اخترقت الرصاصة لوحين خشبيين لبنَّاء•

-إذا كان جيدًا في ذلك، سأشتري واحدًا ماركة "براوننج"، لكن لتجنب الشكوك أحضرت مقبضا حديديا•

-هل هو مسطح؟

-لا، فيه كل مسمار ومسمار يثير الخوف•

عبر رجل شرطة حديقة الميدان متوجهًا نحونا• صاح "لوسيو" بصوت مرتفع بقدر كافٍ حتى يسمعه الضابط الحقير: أنت•••

بعبور طريق الميدان كنا أمام سور المدرسة، ولاحظنا هناك أنها بدأت تمطر مرة أخرى• يحيط بالعمارة الجانبية صف من أشجار الموز التي جعلت الظلام دامسًا في المكان• كان اصطدام المطر بأوراق الشجر يصدر ضجيجا غريبًا• ظهرت الأطراف الحادة للسياج الحديدية التي كانت توحد جانبي العمارة الشاهقين المظلمين• مررنا ببطء ونحن محدقين النظر، ثم تسلقت القضبان الحديدية الغليظة دون أن أهمس بكلمة، وأدخلت قدمًا في الإطار الذي يربط كل سياجين، وبقفزة ارتميت في الفناء• ظللت لبعض اللحظات بالوضع الذي وقعت عليه وأنا جالس القرفصاء، العيون لا



oberkandi.com

تتحرك، وألمس بأنامل أصابعي البلاط المبتل• همهم "إنريكي" الذي انتهى من اتباعي: أنت، لا يوجد أحد•
-يبدو أنه كذلك، لكن ماذا يفعل "لوسيو"، لماذا لم يقفز؟

سمعنا في الشارع اصطدام بطيئ لحدوات حصان فوق الأحجار، ثم سُمع صوت حصان أخر، وفي الظلام انخفض الضجيج•
ظهرت رأس "لوسيو" من فوق السياج الحديدية• أسند قدميه على خشبة، وترك نفسه يسقط بمنتهى الرشاقة لدرجة أن نعل حذائه أصدر صوتًا خفيفًا من اصطدامه بالبلاط•
-من كان يعبر؟!
-المفتش العام والحارس• تظاهرت كأنني أنتظر الترام•
-أنت، أعطنا الجوارب•
-بالتأكيد، وكأن الانفعال إنساني•
-والآن، لأي اتجاه؟ المكان مظلم جدًا حيث•••
-من هنا•••

قام "لوسيو" بدور المرشد، أخرجت المسدس وتوجهنا نحن الثلاثة إلى الفناء المغطى بشرفة الدور الثاني• كان رواق الأعمدة غير متضح تمامًا في الظلام• فجأة أصابتني قشعريرة لإحساسي بتفوقي على أصدقائي مما جعلني أمسك بذراع "إنريكي" بأخوية وأقول له: نحن نسير ببطء كبير
-وبتهور••• تركت الخطوة الرصينة محدثًا صوتًا بحذائي على الخشب•

تضاعف صدى الخطوات في محيط العمارة• التأكد من حصانتنا المطلقة من العقاب أصاب كل أصدقائي بتفاؤل كبير، وضحكنا بقهقهة قوية لدرجة أن أحد الكلاب المتشردة نبح بوجهنا ثلاث مرات• فرحنا بإذلال الخطر بصفعة شجاعة، أردنا أن نوقظ الرجال؛ لنريهم الفرحة التي تمجد روحنا، عندما ننتهك القانون ونمارس الخطيئة بكل سرور•

الكهربائية• وجدنا في الممر بابًا يوصل لشرفة الدور الثاني• خرجنا• كانت الماء تنقط على بلاط الساحة• كشف ضوء البرق الساطع وجود كشك خشبي بابه مفتوح قليلًا بجوار جدار شاهق مليئ بالزفت• بعد دقائق كشف سطوع شعاع البرق المفاجئ من سماء بعيدة بنفسجية اللون غير مستوية مليئة بالأبراج والأسقف• قطع خطوط الأفق الجدار الشاهق المليىء بالزفت بهيئته الشبيهة بجدران السجون بشكل يبعث التشاؤم•

توغلنا داخل الكشك• أشعل"لوسيو" بطاريته مرة أخرى• وجدنا في أركان الكشك أكياسا مكدسة بالنشارة، وملابس تنظيف، وممسحات، ومقشات جديدة، وفي المنتصف توجد سلة كبيرة من الصفصاف•

-رفع" لوسيو" الغطاء قائلاً: ماذا يوجد في الداخل؟

-توجد مصابيح•

-أرني•

اتجهنا إلي الدولاب المضاء بالبطارية طامعين• كانت تلمع بين النشارة بلورات كروية

لمصابيح كهربائية بأسلاك حرارية•

-أليست محروقة؟!

-لا••• لقد ألقوها

-لكن لكي نتأكد، فحصت بحماس الأسلاك الحرارية في تراكيبها الهندسية• كانت سليمة•

سرقنا بشره في صمت• ملأنا الأكياس ولم يكفينا، فمسكنا كيسا من القماش ملأناها بالمصابيح، ولكي يضمن "لوسيو" أنهم لن يصدروا صوتًا؛ ملأ الفراغات بالنشارة• عند بطن "ايرثوبيتا" كان البنطال مرفوعًا كثيرًا حيث اللمبات الكثيرة المخبأة•

-أنظر ل"إنريكي"، إنه ممتلئ•

التفت "لوسيو" الذي كان يتصدرنا قائلاً: لديَّ اقتراح وهو أن نقتحم بنك الأمة "البانكو ديه لا ناسيون" خلال أيام.
-ستفتح أنت يا "سيلبيو" الخزنة باستخدام القوس الكهربائي.
-قال "إنريكي": لابد أن بونوت[٧] يصفق لنا من الجحيم.
-صحت قائلاً: فليعيش "الاباتشيين لاكومبيه" و"باليت".
-صرخ "لوسيو": النصر!
-ماذا حدث لك؟
-أجاب "لوسيو": هو كذلك...ألم يقل لك "لوسيو"؟! لابد أن يصنعوا لك تمثالا! هو كذلك...هل تعرفون ما هو؟!
-هل انتبهتم؟ !انتبهت يا "لوسيو" لمحل المجوهرات الموجود بجوار سينما "إليكترا"؟! هذه حقيقة لا تضحك. أتذكر جيدًا أن مرحاض السينما ليس له سقف، يمكننا أن نصعد من هناك على سقف محل المجوهرات. تُباع بعض التذاكر في الليل وقبل أن ينتهي العمل، يقوم فرد بتنظيف الحمامات، تُحقن فتحة المفتاح بالكلوروفورم بالحقنة الكاوتشوك.
-بالتأكيد. تعرف أنها ستكون ضربة رائعة يا "لوسيو"؟ !...و من سيشك في بعض الصبية. لابد أن يُدرس المشروع جيدًا.
أشعلت سيجارة ، وعلى ضوء عود الكبريت اكتشفت سلَّما رخاميا.
-سنقفز من على هذه السلالم العلوية.

أضاء "لوسيو" المكان ببطاريته الكهربائية. كان عبارة عن مربع ضيق يمتد بجواره ممر مظلم. كان معلقًا على الباب لوحة خشبية مزخرفة ومثبتة بمسامير ومكتوب عليها "المكتبة". اقتربنا لكي نستكشفها. كانت قديمة وادراف الأبواب والشبابيك مدهونة باللون الأخضر، توجد مسافة واحد بوصة بين قواعد الأعمدة والبلاط. يمكن أن تُحطم أقفال الترابيس بأحد الألواح.
-قال "إنريكي": سنذهب أولا للشرفة. كانت الكرانيش مليئة بالمصابيح

٧-بونوت:هو رئيس عصابة بونوت، وهي عبارة عن مجموعة غير شرعية تمارس السرقة والقتل.

لففت العصا بمنديل وأدخلتها في الفتحة، لكنني لاحظت أنه بدلاً من الضغط لأسفل لابد أن أضغط في الاتجاه العكسي• صر الباب، فتوقفت• قال "إنريكي": اسمحوا لي•

كانت دفعة "إنريكي" قوية جدًا، حيث أن الصرير البدائي صار فرقعة حادة• توقف "إنريكي" و لم نتحرك من الذهول•
-احتج" لوسيو" قائلاً: كم هو فظ!

استطعنا سماع أنفاسنا المتلهفة• أطفأ "لوسيو" البطارية دون قصد• تملَّكنا الرعب في البداية، ثم وقفنا متيقظين دون التجرؤ على إصدار أي حركة بأيدينا المرتعشة المنبسطة• اخترقت العيون هذا الظلام، بدت وكأنها تلتقط الأصوات البسيطة الأخيرة• بدأ فرط الإحساس الحاد يتمدد في آذاننا، كنا كالتماثيل، شفاهنا مفتوحة قليلاً من توقع ما يمكن أن يحدث•
-همهم"لوسيو": ماذا نفعل؟!
-تلاشى الخوف•
-لا أعلم أي وحي دفعني لأقول"للوسيو": خذ المسدس واذهب لمراقبة السلالم، لكن من أسفل سنقوم بالعمل•
-و من سيرتب المصابيح؟
-هل أصبحت المصابيح تهمك الآن؟
-امضي ولا تهتم•

اختفي الفاسق الأنيق بعدما التقط المسدس من الهواء في ثوبه بحركة سينمائية مثل أحد الأباتشيين•

فتح "إنريكي" باب المكتبة بحذر• امتلأ الهواء برائحة الورق القديم، وعلى ضوء البطارية رأينا عنكبا يهرب من الأرض المُضاءة• كانت أرفف الخزانة المطلية باللون الأحمر تلمس السقف، والحلقة المخروطية للضوء تتحرك في الخزانات لتضئ الأرفف المليئة بالكتب• أضافت الواجهات الزجاجية الفخمة وقارًا للظلام، خلف الزجاج لمعت الأغلفة المزخرفة

جعلنا هذا الموقف الظريف نضحك• انسحبنا برصانة• أحدثت المصابيح الكهربائية صوتًا مثل الأجراس الصغيرة البعيدة• عندما وقفنا أمام المكتبة، دعا "إنريكي" قائلاً: من الأفضل أن ندخل لنبحث عن الكتب•

-قال" لوسيو": وبأي شيء سنفتح الباب؟!

-قلت: رأيت عصا حديدية في الحجرة الصغيرة•

-قال"إنريكي": هل تعرف ماذا سنفعل؟ حزَّمنا المصابيح، ومن الممكن أن يأخذها "لوسيو" إلى هناك فهو الأقرب•

-همهم الوغد: أيها القذر! لن أخرج بمفردي•••لا أريد أن أذهب لأنام في السجن•

كم هو مظهر سيئ للوغد! كان فاتحا الزر العلوي تقريبًا، وكانت رابطة العنق الخضراء في منتصف القميص المطرز الممزق، وحافة القبعة فوق القفا• كان وجهه متسخًا وشاحبا، أطراف الأكمام مثنية حول القفازات، لديكم الصورة الوقحة لهذا المستنمي الذي تم القبض عليه في محاولة لتفجير الشقق•

ذهب "إنريكي" ليبحث عن العصا الحديدية بعد أن انتهى من صف مصابيحه• همهم "لوسيو": "إنريكي"، يا له من حذق، ألم يبدُ لك ذلك؟! جعلني الطُّعم بمفردي•

-لا تبالغ• بيننا وبين منزلك فقط ثلاث حظائر• حسنًا، يمكن أن تذهب وتأتي في خمس دقائق•

-لا يروق لي•

-أعلم بالفعل أنه لا يروق لك ، لكنه ليس شيئا جديدا كي تنفعل!

-وإذا قابلني شرطي؟!

-اهرب••• ألم تكن لديك أرجل؟!

دخل "إنريكي" وهو يهتز مثل كلب البحر: والآن؟!

-أعطني••• سترى!

بالنقوش العربية والعناوين المذهَّبة على كعوب الكتب.

اقترب "ايرثوبيتا" من الزجاج. أنار الضوء المنعكس بميل وجه "إنريكي" بخده الهزيل الذي يشبه النقش الغائر، وعينيه الساكنة، والشعر الأسود الذي يحيط بالجمجمة بتناسق حتى يتلاشى عن عضلة القفا. عندما نظر إليَّ مرة أخرى، قال مبتسما: أتعرف أنه يوجد كتب جميلة؟!

-نعم، وبيعها سهل.

-منذ متى و نحن هنا؟!

-من نصف ساعة تقريبًا.

جلست في ركن المكتبة الذي يبعد خطوات بسيطة عن الباب (في منتصف المكتبة)، قلدني "إنريكي"، كنا مرهقين. اخترق صمت القاعة المظلمة أرواحنا، وبسطها لتستوعب المساحات الكبيرة للذكرى والقلق.

-قل لي، لماذا قطعت علاقتك ب"ألونورا"؟!

-و ماذا أعرف أنا. هل تتذكر؟! قد أهدتني زهورًا.

-وماذا بعد؟!

-كتبت لي بعض الخطابات. شيء غريب، عندما يتحابا شخصان يبدو كل منهما وكأن له نفس التفكير. في عشية يوم الأحد، خرجت لتطوف حول الاسطبل. لا أعرف لماذا فعلت نفس الشيء، لكن في الاتجاه الأخر، وعندما تقابلنا دون أن تنظر إلي، أعطتني جوابًا. كانت ملابسها وردية، وأتذكر أن طيورًا كثيرة كانت تغرد على أوراق الشجر.

-ماذا قالت لك؟!

-أشياءً بسيطة جدًا... كم انتظرت؟!... هل انتبهت؟!... كم انتظرت أن تقول لي أشياءً أكثر من ذلك؟!

-كانت متحفظة.

-أي تجهم كان يا "إنريكي"؟! لو كنت تعلم... ظللت هناك أمام السياج الحديدية. حل المساء. كانت صامتة، أحيانًا كانت تنظر إليَّ بطريقة... شعرت أن لديَّ رغبة في البكاء... ولم تقل شيئًا. ماذا كنا سنقول؟!

-قال "إنريكي": ها هي الحياة، لكن لنذهب لنرى الكتب، و"لوسيو" هذا؟! أحيانًا يزعجني، كم هو إنسان غامض!
-أين ستوجد المفاتيح؟
-بالتأكيد في درج المكتب.

فتحنا المكتب، وفي درج الأقلام وجدناها. صر القفل، ثم بدأنا البحث. أخرجنا المجلدات وتصفحناها، وقال "إنريكي" الذي لديه فكرة عن الأسعار: بعضها ليس له قيمة والبعض الأخر له.
-كتاب جبال الذهب.
-هو كتاب صعب، في كل جزء منه تجد عشرة فوائد.
-كتاب تطور المادة للموسيقي "ليبون"، يحتوى على صور.
-قال "إنريكي": سأحتفظ به لنفسي.
-كتاب "روكيتيه"(الكيمياء العضوية وغير العضوية).
-ضعه هناك مع الأشياء الأخرى.
-حساب التفاضل والتكامل.
-هذه من أرفع علوم الرياضيات. لابد وأنه باهظ الثمن.
-وهذا؟!
-ما اسمه؟
- حياة "تشارلز بوديلايريه".
-أرني، تمام.
-يبدو أنه سيرة ذاتية. لا يساوي شيئًا.
-فتحت الكتاب بعشوائية.
-إنه يحتوي على أبيات شعرية.
-ماذا تقول هذه الأبيات؟
-قرأت بصوت عالٍ:
-عشقتك عشقا كقبة السماء، وعاء من الحزن ياه! بياض مكفهر.
فكرت في "الونورا"، آآآآآه "الونورا".

ذهبنا نقاتل
وجه الجثة رقص الغجر•
-قلت: أنت••• أتعلم أن هذا الشعر جميل جدًا؟! سآخذه إلى البيت•
قال "إنريكي": حسنًا، انظر، رتب المصابيح لحين انتهائي من رص الكتب •
-والضوء؟!
-أحضره هنا•

اتبعت تعليمات "إنريكي"، وباشرنا العمل بصمت• كانت خيالاتنا الضخمة تتحرك في السقف وفوق أرض الحجرة، وكانت هائلة بسبب الظل القليل الذي يملأ الأركان• ولاعتيادى على الخطر، لم يعق مهارتي أي اضطراب•

رتب "إنريكي" المجلدات فوق المكتب، وكان يلقي نظرة على صفحاتها• انتهيت من ترتيب اللمبات، عندما ميزنا صوت خطوات "لوسيو" في الممر، مَثَل أمامنا بوجه منخلع وقطرات غزيرة من العرق تلمع على جبهته: أتى رجل إلى هنا••• دخل الآن••• توقفوا•

نظر إليه "إنريكي" مندهشًا، وقام تلقائيًا بإطفاء البطارية• أمسكت مذعورًا بالعصا الحديدية، ولم أتذكر من تركها بجوار المكتب• طوق جبهتي في الظلام حلقة شديدة البياض• تسلق الغريب السلم وكانت خطواته غير واضحة، وفجأة ازداد الخوف كثيرًا، وتغير شكلي• تخليت عن تصرفات الطفل المغامر، وتخدرت أعصابي• كان جسدي كالتمثال العابس المملوء من الداخل بالإجرام، تمثال منصوب على أطراف متوترة ومنقبضة من إدراك الخطر• تنهد "إنريكي" قائلا: من سيكون؟!
-أجاب"لوسيو" بإشارة من يديه•

الآن نسمعه قريبًا جدًا وصوت خطواته يدوي في أعماق• رفعت يدي ممسكًا بالعصا الحديدية فوق رأسي استعدادًا لأي شيء وجاهزًا لتوجيه الضربة••• كانت الحواس تميز الأصوات بسرعة مدهشة وتتتبع مصدرها،

وتحدد من تكوينها الحالة النفسية لمن يثيرها؛ وباندفاع لاإرادى حللت الموقف قائلاً: إنه يقترب••• لا يفكر في شيء••• إذا كان يفكر لن يدعس هكذا••• إنه يجر قدميه••• إذا كان يشك في شيء، لن يلمس الأرض بنعل الحذاء••• كان سيجعل جسده يتصرف حسب الموقف••• كان سيتتبع دفعة أذنيه لتبحث عن الضوضاء والعيون؛ لتبحث عن الجسد، وسيمشي على أطراف أصابعه••• وهو يعلم••• إنه هادئ•

فجأة غنى صوت مبحوح هنا بالأسفل بحزن السكارى: ملعون يوم عرفتك فيه

-آآآه غندورة! آآآه غندورة!

توقفت الأغنية الناعسة فجأة•

-لقد شك••• لا••• نعم••• ممكن••• لنرى

-واعتقدت أن قلبي تصدع ودفع الدماء في العروق بكل قوة•

همهم الرجل الغريب من جديد بمجرد وصوله إلى الممر: آآآه غندورة! آآآه غندورة!

-همهمت: إنريكي، إنريكي•

لم يجب أحد• وبسبب رائحة النبيذ الكريهة الفظة، جلبت الرياح صوت البطن المنتفخة، همس "إنريكي" في أذني قائلاً: إنه ثمل• إذا أتي سنكمم فمه•

ابتعد الطفيلي وهو يجر قدميه، واختفي في نهاية الممر• توقف في منعطف وسمعناه وهو يتصارع مع قفل الباب الذي أغلقه خلفه بقوة•

-حسنًا، لقد تحررنا!

-"لوسيو"، لماذا أنت صامت هكذا؟!

-من الفرح يا أخي••• من الفرح•

-كيف رأيته؟!

-جلست على السلَّم، أردت رؤيتك هنا، فجأة سمعت صوتا، نظرت، فرأيت الباب الحديدي يُفتح، ومثلما حكيت لك، يا له من شعور !

-أنظر، لو ظهر لنا الرجل فجأة!!

-قال "إنريكي": سأقتله!

-والآن، ماذا سنفعل؟!

-ماذا سنفعل؟! سنذهب... حان الوقت.

نزلنا على أطراف أصابعنا مبتسمين. حمل "لوسيو" حزمة المصابيح، وأنا و"إنريكي" حمالنا كيسي الكتب الثقيلين. لا أدري لماذا فكرت وأنا وسط ظلام السلالم في سطوع الشمس وضحكت بصوت منخفض؟! سألني "إنريكي" غاضبًا: ما الذي يضحكك؟!

-لا أعلم.

-ألن نتقابل مع أى شرطى؟!

-لا، من هنا للمنزل لا توجد شرطة.

-ألم أقل لك من قبل.

-علاوة على ذلك، هذا المطر!

-عجبًا!

-ماذا حدث يا"إنريكي"؟!

-نسيت أن أغلق باب المكتبة. أعطني الكشاف.

أعطيته له، وبخطوات كبيرة اختفي "ايرثوبيتا" جلسنا على الرخام في انتظاره. انتفضت من البرد في الظلام. أصدرت قطرات الماء صوتا قويا من اصطدامها بالبلاط. وبلا وعى، أغلقت جفوني وتسلل إلي روحي توسل الفتاة الجديرة بالحب في إحدى الأمسيات البعيدة وهي تقف ساكنة بجوار الحور الأسود. أصرَّ صوتي الداخلي بعناد: لقد أحببتك يا "ألونورا"! آآآه لو تعرفي كم أحببتك! عندما عاد "إنريكي" كان يحمل بعض المجلدات تحت ذراعه.

-وهذا؟!

-إنه كتاب الجغرافيا ل"مالتيه برون". سأحتفظ به لنفسي.

-هل أغلقت الباب؟!

-نعم، أغلقته جيدا.

-هل سيبدو مغلقا جيدًا؟!

-لن يُعرف أي شيء.

-أنت، وهذا السكران؟! سنغلق باب الشارع بالمفتاح؟!



obeikandl.com

كانت فكرة "إنريكي" صائبة، حيث تركنا الباب الداخلي مفتوحا قليلاً وخرجنا• تيار من المياه الفائرة كان يتحرك بين جانبي الطريق، خففت الأمطار غضبها وهبطت برقة وكثافة وعناد• وبرغم الحمولة والحذر والخوف ، ازدادت سرعة أقدامنا•

-ضربة رائعة•

-نعم رائعة•

-ما رأيك يا "لوسيو" أن نترك هذا عندك؟!

-لا تقل أي حماقات، غدًا سنتقاسم كل شيء•

-كم مصباح أحضرنا؟!

-قال "إنريكي": لقد حسبتهم وكانوا تقريبًا ستين مصباحا•

-كم تبلغ الساعة معك؟

-لابد أنها الثالثة صباحًا•

لم يكن الوقت متأخرًا، لكن التعب والقلق والظلام والصمت والشجر الذي يسرب البرد لظهورنا جعل الليل يبدو لنا خالدًا•

-قال "إنريكي" بحزن: حقًا ،الوقت متأخر كثيرًا•

دخلنا منزل "لوسيو" ونحن نرتجف من البرد والتعب•

-أنت••• على رسلك حتى لا تستيقظ العجائز•

-وأين سنضع هذا؟

-انتظروا•

فُتح الباب ببطء• دخل"لوسيو" الحجرة، ولفَّ مفتاح النور•

-ادخلوا، هذه حجرتي•

كان يوجد دولاب للملابس في أحد الأركان، ومائدة صغيرة من الخشب الأبيض وسرير• تمتد الأيدي الورعة المربوطة للمسيح الأسود على طرف السرير، كانت صورة الممثلة الإيطالية "ليدا بوريبه" وهى تنظر بحزن شديد إلى السقف معلقة في أحد البراويز على الحائط•

ارتمينا من التعب على السرير• ازداد سواد هالات العيون من التعب على الوجوه المرتخية من النعاس• ظلت أعيننا ساكنة ومثبتة على الحوائط البيضاء، إما قريبة وإما بعيدة مثل الخيالات البصرية لمرض الحمى• أخفي



obeikandi.com

"لوسيو" الشنط في الدولاب، وجلس مفكرًا على حافة المنضدة ممسكًا بإحدى ركبتيه.

-وكتاب الجغرافيا؟!

عاد الصمت يثقل الأرواح المبللة فوق وجوهنا الشاحبة ، وأيدينا الهزيلة المفتوحة قليلاً. نهضت مكتئبا دون أن أبعد نظري عن الحائط الأبيض:

-أعطني المسدس، أنا ذاهب.

-قال "إنريكي" وهو مستلقٍ على السرير: سآتي معك.

وضللنا الطريق في الظلام دون أن نتفوَّه بكلمة، بوجوه مقتضبة، وظهور محنية.

انتهيت من خلع ملابسي عندما أثارت ثلاث ضربات محتدمة دويًا صاخبًا على باب الشارع، ثلاث ضربات متسارعة جدًا أوقفت شعري.

فكرت بسرعة رهيبة: الشرطة كانت تتبعني...الشرطة...الشرطة، كانت روحي تلهث.

تكررت الضربة المدوية ثلاث مرات أخرى بمزيد من القلق والحماس والإلحاح. أخذت المسدس وخرجت عاريًا إلى الباب. لم أنتهِ من فتح الباب حتى سقط "إنريكي" بين ذراعي ، تدحرجت الكتب على الأرض.

تحدث "ايرثوبيتا" بصوت مبحوح: أغلق... أغلق... أغلق... إنهم يتبعونني، اغلق الباب يا "سيلبيو"!

جررته تحت سقف الممر. صاحت والدتي وهي مذعورة من الغرفة: ماذا يحدث يا "سيلبيو"؟!... ماذا يحدث؟!

-لا شيء... اصمتي... الأمر هو أن شرطيا يركض وراء "إنريكي" بسبب مشاجرة.

وفي صمت الليل حيث الخوف الذي شارك في تحقيق العدالة، رن صوت صفارة شرطي حقير، وعبر حصان سريع مدخل الشارع. تكرر الصوت المرعب المضاعف مرة أخرى في أماكن قريبة متباينة. انطلقت الصيحات المدوية الصاخبة للشرطة مثل قذائف السلاح. فتح أحد الجيران الباب

وسُمع أصوات حوار • التصقنا أنا و"إنريكي" ببعض في ظلام الممر ونحن مرعوبين، وبينما كانت تنطلق الصفارات العديدة المزعجة المتوعِّدة من كل الأنحاء على امتداد الطريق المشئوم، كانت تصل لأذاننا أصوات حدوات الأحصنة والركض المحتدم والوقفات الفجائية على بلاط الشارع الزلق وتقهقر رجال الشرطة• كان الشخص المُتتبع واقفًا بين يدي وجسده ينتفض من الرعب أمامي، وانحنيت بشفقة غير محدودة للمراهق المكروب• جررته حتى غرفتي الصغيرة، صككت أسنانه وسقط على الكرسي مقشعرًا من الخوف وحدقتاه المرتبكتان المتسعتان من الذعر كانتا مثبتتين على زجاج المصباح المتورد•

عبر الحصان الشارع مرة أخرى، لكن ببطء شديد؛ فاعتقدت أنه وقف أمام بيتي، ثم حرك الشرطي دابته وأصبحت طلقات الصفارات أقل ترددًا حتى توقفت تمامًا•

-ماء••• أعطني ماء!

أعطيته دورق الماء فشرب بنهم• أصدرت الماء صوتًا في حنجرته، وضيقت تنهيدة كبيرة صدره• ودون أن يبعد حدقتيه الساكنتين عن الزجاج المتورد، ضحك ضحكة غريبة غامضة مثل من يفيق من خوف مروع•

-قال وهو مازال يضحك بصدر رحب بلا حدود من معجزة نجاته غير المتوقعة: شكرًا "سيلبيو"•

-لكن حدثني، كيف كان ذلك؟!

-انظر••• كنت أسير في الشارع ولا يوجد أحد• عندما كنت أدور من ناصية شارع "سود أمريكا" انتبهت لوجود شرطي ينظر إليَّ من تحت الضوء• توقفت تلقائيا، فصاح قائلاً: ما الذي جاء بك إلى هنا؟!

لم أقل شيئًا وانطلقت مثل الشيطان• ركض خلفي، لكنه لم يستطع الوصول إليَّ؛ لأنه كان يرتدي معطفًا••• تركته ورائي••• عندما شعرت بوجود أخر قادم على فرس••• والصفارة، ومن كان يركض خلفي أطلق الصفارة• عندئذ ركضت بقوة ووصلت إلى هنا•

-هل رآك••• لأنك لم تترك الكتب في منزل "لوسيو"؟! انظر••• لو قبضوا عليك، سيسوقوننا جميعًا إلى السجن!••• والكتب؟! ألم تنسَ الكتب في الشارع••• صحيح؟!

-لا تسقط هنا في الممر•

-عندما ذهبت لأبحث عنهم، كان يجب أن أفسر لأمي ما حدث: ليس هناك شيء سيئ• الموضوع هو أن "إنريكي" كان يلعب البلياردو مع شاب أخر وقطع قماش المائدة دون قصد• أراد صاحب المحل أن يأخذ ثمنها منه، فحدثت المشاجرة؛ لأنه لم يمتلك المال•

كنا في منزل "إنريكي"، توغل شعاع أحمر من فتحة الكهف الصغير لمسرح العرائس• يفكر"إنريكي" وهو جالس بأحد الأركان، وتجعيدة كبيرة تقسم جبهته من جذور شعره حتى حاجبه، يدخن وهو متكئ على كومة من الملابس المتسخة، ودخان السيجارة يلف مكونًا ضبابًا كثيفًا حول وجهه الشاحب، ومن فوق المرحاض يصل من المنزل المجاور لحن الفلس المتقطع ببطء من البيانو• أجلس على الأرض، تشاجرت أخوات"إنريكي" بالخارج بصوت فظ•

-نظرت ل"إنريكي"، حيث واصل حديثه قائلا: كيف يبدو لك الأمر يا "سيلبيو"؟!

-لا يوجد حل أخر غير أن نترك العمل، وإذا لم نفعل ذلك سنقع•

-كنَّا على استعداد مرتين ليلة البارحة•

-نعم المسألة لم تعد أكثر وضوحًا

-ولعاشر مرة أعاد "لوسيو" قراءة المقال في الجريدة: اليوم في الثالثة صباحًا عند موقف الأتوبيس الموجود بين شارعي "ابيانيدا" و"سود أمريكا"، فوجئ رجل الشرطة "مانويل كارلوس" بشخص يتصرف بطريقة مريبة، كان يحمل حزمة تحت ذراعه، عند مناداته بصوت عالٍ، بدأ الشخص المجهول في الركض مختفيًا في إحدى الأراضي البور الموجودة بالشوارع القريبة للمكان• تدخَّل قسم الشرطة رقم ٣٨ في الأمر•".

-قال"إنريكي": بذلك سينحل النادي؟!

-أجاب "لوسيو": لا••• ستتوقف نشاطاته لفترة غير محددة• لن يكون

هناك برنامج عمل، والشرطة تبحث عن أي خبر•

-بالتأكيد سيكون غباءً•

-و الكتب؟!

-كم عدد المجلدات؟

-سبع و عشرون•

-إذاً، تسعة لكل واحد•••لكن لا تنسوا مسح أختام مجلس التعليم بحرص•

-والمصابيح؟!

-أجاب "لوسيو" بسرعة: انظروا••• أنت••• أنا لا أعرف حتى نصفها• قبل الذهاب لتقسيمها، سأرميها في المرحاض•

-نعم، بالتأكيد، فهي خطيرة بعض الشيء الآن•

-صمت "ايرثوبيتا" ثم قال: هل أنت حزين يا "إنريكي"؟!

ابتسامة غريبة لوت فمه، وقال وهو رافع كتفيه، واقفًا كالتمثال: اتركوا انتم السرقة••• واضح••• فحدوة المهر لا تصلح لكل الأحصنة، لكن على الرغم من أنكم ستتركونني بمفردي سأستمر•

على حائط الكهف الصغير لمسرح العرائس، أضاء شعاع النور الأحمر وجه المراهق الهزيل•

obeikandl.com

## -الفصل الثاني-
### أعمال وأيام

انتقلنا من الحي إلى منزل كبير مشئوم بشارع "كوينكا" بأخر حي "فلورستا"؛ لأن صاحب المنزل رفع الإيجار، لم أعد أرى "لوسيو" و"إنريكي"، خيم ظلام البؤس والفقر المرير على أيامي.

عندما بلغت الخامسة عشر عامًا، قالت لي أمي بعشية أحد الأيام: لابد أن تعمل يا "سيلبيو".

رفعت عينيي حيث كنت أقرأ كتابًا، و نظرت إليها باستياء وفكرت: العمل... العمل... دائمًا العمل، لكن لم أجب. وقفت أمام النافذة حيث ضوء الشفق الأزرق وهو يسقط على شعرها الأبيض ووجهها الشاحب كثير التجاعيد، ونظرت لي بشكل غير مباشربنظرة ما بين الاستياء والشفقة، فتجنبت أن أواجه عينيها.

أصرت وهي مدركة صمتي العدواني: لابد أن تعمل... أتفهم؟! إنك لم ترد الدراسة. لا أستطيع إعالتك. من الضروري أن تعمل.



obeikandl.com

عندما تحدثت كانت بالكاد تفتح شفتيها الرقيقتين مثل لوحي الخشب• خبأت يديها في طيات الشال الأسود الذي نحت صدرها بأكتافها الساقطة•

-لابد أن تعمل يا "سيلبيو"•

-أعمل، ماذا اعمل؟! يا إلهي••• ماذا تريدينني أن أعمل؟! سأصنع الوظيفة؟! إنك تعرفين جيدًا أنني بحثت عن عمل•

تحدثت باضطراب من الغيظ والحنق من كلماتها العنيدة، وأنا أكره فتور العالم، والفقر الذي يلحق أيامي، وفي الوقت ذاته طوقني حزن بلا معنى لشعوري عجزي، لكنها أصرت كما لو كانت تلك كلماتها الوحيدة

-من أين••• لنرى••• من أين؟!

-اقتربت تلقائيًا من النافذة ، وبحركة عنيفة رتبت ثنيات الستارة• قالت بمشقة: في الجرائد دائمًا•••

-نعم، يطلبون غسَّالي صحون أو عمَّال•••

-هل تريدين أن أصبح غسَّال صحون؟!

-لا، لكن لابد أن تعمل• المال المتبقي قليل وسيكفي فقط لحين انتهاء أختك من دراستها، ليس أكثر••• ماذا تريدها أن تفعل؟!

-و تحت طيات ثوبها أشارت لحذاء مقطوع قائلة: انظر لهذا الحذاء• لكي لا تدفع أختك ثمن الكتب، يجب أن تذهب كل يوم إلى المكتبة• ماذا تريدها أن تفعل يا بني؟!

حينئذ أصبح صوتها مكروب، وصدع تجعيد يقسم جبهتها من الحاجب حتى جذور الشعر، وتقريبًا كانت شفتها ترتعش•

-حسنًا يا أمي، سأعمل• كم كانت الكآبة تطوقنا• أكد الضوء الأزرق بروحها رتابة كل أيام حياتنا، وفكرت وهي ضجرة وصامتة• سُمع صوت غناء مجموعة من الصبية بالخارج: برج الحرس

-برج الحرس

-أريد أن أقهره•

-تنهدت بصوت منخفض قائلة: كم تمنيت كثيرًا أن تدرس•

-هذا ليس له قيمة•

-اليوم الذي ستتخرج فيه "ليلا"•••
كان صوتها رقيقًا ومليئًا بالحزن والألم•

جلست بجوار ماكينة الخياطة وانطلق في الظل بريق أبيض حزين من عينها التي كانت تشبه السلة العميقة تحت حاجبها الرقيق• ظهرها الضعيف منحني والضوء الأزرق يترك لمعان الثلج على شعرها الأملس•
-أجابت: لا••••• هل تريد أن تعمل مع السيد "نايدات"؟ يمكنك أن تتعلم وتصبح نقاشًا، ألم تعجبك المهنة؟!
-لا تفرق معي•
-ومع ذلك، يكسبون مالاً كثيرًا•

شعرت باندفاع لأقوم وأمسكها من أكتافها ، وأهزها ، وأصرخ بأذنيها: من فضلك يا أمي لا تتحدثي عن المال، لا تتحدثي اصمتي!
جلسنا دون حركة من الحزن• مازال الشباب يتغنى بالخارج باللحن الحزين:برج الحرس••• برج الحرس
-أريد أن أقهره•
-فكرت: هذه هي الحياة• عندما أصبح كبيرًا ، ويكون لديَّ ولد سأقول له: "يجب أن تعمل، لا أستطيع أن أعيلك"• هذه هي الحياة•
ضربت الكرسي عصفة ريح باردة• أنظر إليها الآن، أترقب جسدها الهزيل جدًا الذي ملأ قلبي بالألم• اعتقدت أنني أراها خارج الزمان والمكان في منظر طبيعي حيث السهل الداكن والسماء الفولاذية شديدة الزرقة•

كنت صغيرًا جدًا حيث أنني لا أستطيع أن أعبر الطريق، عبرت الطريق حزينة وهى تحملني بين ذراعيها مدفئة ركبتي بصدرها وهي تضم جسدي الصغير إلى جسدها الواهن ، وتشحذ من الناس لأجلي • بينما كانت ترضعني، جف فمها من حدة البكاء، كانت تزيل الطعام من فمها لتضعه بفمي ، يهجرها النوم في لياليها لتعتني بآهاتي، تمتد بجواري كالستار بجسدها المكسو بالملابس الرثة بشبابها الحزين لتحرس نومتي،

أمى المسكينة! أردت أن أضمها ، وأميل رأسها البيضاء لصدري، وأطلب منها السماح لكلماتي القاسية.

وفجأة في الصمت الطويل الذي خيم علينا، قلت لها بصوت مرتجف: نعم، سأعمل يا أمي.

قالت بصوت منخفض: من الأفضل يا بني، من الأفضل.

ومرة أخرى خيم الحزن العميق على شفاهنا، وبالخارج كانت تنطلق النغمات الموسيقية محلقة بالسماء أعلى من الجدار الوردي اللامع.

تقع مكتبة "دون خايثانو"، وبالتحديد، منزله المخصص لبيع وشراء الكتب المستعملة في شارع "لابابيه" منزل رقم ثمانمائة، كان عبارة عن صالة كبيرة مكتظة بالكتب حتى السقف. كان المكان أكثر اتساعا وظلامًا من كهف "تروفونيو". أينما تنظر تجد كتبًا على الموائد المكونة من الألواح الخشبية فوق الحاملات، وعلى الطاولات، وفي الأركان، وتحت الطاولات؛ وفي السرداب.

يظهر الباب العريض المارة ومحتوى الكهف.عُلِّقت المجلدات التي تروي قصص المغامرات الشعبية، ورواية "خينوبينا ديه برابانتيه"، ومغامرات "موسوليني" على جدران الشارع. المكان أمامها يشبه المنحل حيث الناس التي تتحرك في ساحة السينما التي تقرع أجراسها باستمرار. تجلس زوجة دون"جايتانو" على المنضدة الموجودة بجوار الباب، امرأة بدينة بيضاء شعرها "كستنائي" وعيونها خضراء جميلة ذو تعبير قاسٍ.

-ألا يوجد دون" جاتيانو"؟!

أشارت لي السيدة إلي رجل كبير ينظر من باب الذهاب والإياب دون سترة رابطًا رابطة عنق سوداء حول رقبته العارية، والفراغات الموجودة بشعر وجهه المضطرب تسمح برؤية أطراف أذنيه. كان إنسانًا جميلاً بقوته وبشرته السمراء، لكن عيونه المتسعة بمائها المختلج تحت رموشه الكثيفة توحي بعدم الثقة. أمسك الرجل خطابي و قرأه ثم أعطاه لزوجته التي ظلت تفحصه، كان تبدو طبيعته الخبيثة لمن حوله من تصرفه

المترقب، ذو طيبة جميلة مصطنعة، و حلم زائف في قهقهاته المرتفعة•

-إذًا، هل عملت قبل ذلك في مكتبة؟

-نعم يا سيدي•

-وهل كان عمل المكتبة الأخري كثيرًا؟

-نوعًا ما•

-لكن لم يكن بها كتب مثل الموجودة هنا، أليس كذلك؟!

-آه، واضح، ولا حتى عُشر ذلك•

ثم توجه الرجل بالكلام إلي زوجته: السيد لن يبيع بأكثر مما يعمل؟!

قالت المرأة بصوت فظ: هكذا يكون كل هؤلاء الجياع، عندما يقضون على الجوع ويتعلمون كيف يعملون•

ثم أسندت ذقنها على كفها مما جعل ثوبها يكشف عن جزء كبير من ذراعها• لم تتحرك عيونها القاسية من على الشارع المكتظ بالناس• كان جرس السينما يقرع باستمرار، وأضاء شعاعًا من الشمس متوغلاً بين جدارين شاهقين الواجهة المظلمة لعمارة "داردو روتشا"•

-كم تريد راتبا لك؟

-لا أعلم، حضرتك من تعلم•

-حسنًا• انظر• سأعطيك بيزو ونصف وسكنا وطعاما، هكذا ستكون أفضل من الأمير•

أمال الرجل رأسه الشعثاء وواصل كلامه: لا يوجد هنا جدول مواعيد••الوقت الذي يكثر فيه العمل يكون من الثامنة مساءً حتى الحادية عشر•

-كم••• حتى الحادية عشر مساءًا؟!

-وما أكثر ما يتمناه شاب مثلك يظل للحادية عشر مساءً ينظر إلى البنات الجميلة، ويستيقظ العاشرة صباحًا•

-قلت ما يستحقه "دون جيتانو" على ما طرحه عليَّ: حسنًا، لأنني احتاج المال ستدفعون لي كل الأسابيع•

قالت زوجته: ماذا، ألديك عدم ثقة؟!

-لا••• لكن لأنهم في منزلي يحتاجون المال ونحن فقراء، وأنتِ تفهمين•••

أعادت المرأة نظرتها الحقيرة إلى الشارع. استمر "دون حيتانو قائلاً": حسنًا. تعالى غدًا في العاشرة صباحًا إلى الشقة، نحن نعيش في شارع "اسميرالدا".
ثم كتب العنوان بورقة و أعطاها لي.

لم ترد المرأة سلامي. كانت ساكنة واضعة ذقنها على كفها، وذراعها عارٍ ومسنود على كومة من الكتب، عيونها معلقة بواجهة منزل "داردو روتشا" التي أظهرت طبيعة الكهف المظلمة.

وقفت في الساعة التاسعة صباحًا عند منزل بائع الكتب بعد أن ناديت، آويت إلى الدهليز لأحتمي به من المطر. خرج رجل مسن ليستقبلني حول رقبته شال أخضر، يرتدى قبعة كبيرة تصل لأذنيه: ماذا تريد؟
-أنا الموظف الجديد.
-اصعد.
صعدت من السلالم بدرجاتها المتسخة، عندما وصلنا إلى الدهليز قال الرجل: انتظر.
يُرَى من زجاج النافذة التي المطلة على الشارع، أمام الشرفة لافتة حديدية لأحد المحلات. كانت قطرات المطر ينزلق ببطء على جزء العمارة المطلي بالورنيش. انطلقت خيوط الدخان من المدخنة الواقعة بين الخزانين في المكان المملوء بماء المطر المتواصل بعيدًا. تكررت القرعات القوية لأجراس عربات الترام، وبين الأتوبيس الكهربائي والكابلات، كان يتذبذب الشرر الشديد. لا أعلم من أين يصل نقيق الديك المبحوح. باغتني حزن مفاجئ عندما لاقيت الإهمال بهذا المنزل. كان زجاج الأبواب دون ستائر وأدراف الشبابيك مغلقة. في أحد أركان الصالة على الأرض المغطاة بالتراب، كانت توجد قطعة منسية من الخبز اليابس. تطايرت في الهواء رائحة الغراء الفظة ورائحة كريهة للوسخ الرطب منذ وقت طويل، صاحت المرأة من الداخل بصوت منخفض: ميجل.
-سيدتي.
-أين توجد القمصان التي أحضرتها "أوسيبيا"؟!

-في صندوق الملابس الصغير يا سيدتي.
-تحدث دون "جيتانيو" بمكر وخبث: دون "ميجل" كيف الحال معك؟!
حرك المسن رأسه يمينًا ويسارًا، ورفع عينيه للسماء بحسرة، كان هزيلاً وطويل القامة والوجه، ذو لحية قصيرة وكأنها منذ ثلاثة أيام على خدوده المترهلة، تعبرعيناه عن الحزن مثل الكلب الهارب.
-دون ميجل.
-سيدتي.
-أحضر لي نصف كيلو من السكر بعلبة صغيرة، واجعلهم يزنونه لك جيدًا.
فتحت أحد الأبواب وخرج دون "جيتانو" ممسكًا فتحة البنطلون بيديه الاثنتين، ومسك مشطًا ليمشط شعره المجعد فوق رأسه.
-كم الساعة؟!
-لا أعرف.
نظر إلى الفناء و همهم: الوقت مبكر. وبدأ يمشط شعره.

عندما وصل دون"ميجل" بالسكر والسجائر، قال دون "جيتانو": ناولني السلة. خذ معك القهوة واذهب إلى المتجر.
لبس القبعة القماش المشحمة، وتناول السلة التي أعطاها له الرجل المسن وسلمها لي قائلاً: سنذهب إلى السوق.
-إلى السوق؟!
التقط جملتي سريعا قائلاً: نصيحة يا "سيلبيو". أنا لا أحب أن أكرر الكلام مرتين، وبالشراء من السوق يعرف الفرد ما سيأكله.
خرجت ورائه حزينًا ممسكًا بالسلة الكبيرة بشكل وقح، حيث كانت تضرب ركبتي وبصوتها الفظ جعلت ألم الفقر أكثر عمقًا وسوءً.
-هل السوق بعيدًا؟!
-لا إنه هنا في "كارلوس بيجرينى".

عندما انتبه لأثار الحزن والجزع على وجهي قال: يبدو أنك تخجل من حمل السلة، ومع ذلك فإن الرجل العفيف لا يخجل من شيء لأن كله عمل.

ألقى رجل مهندم "احتكت به السلة" عليَّ نظرة شديدة الغضب، ونظر إليَّ بسخرية بواب أشقر يرتدي بدلة رائعة وهي الزي الرسمي للبوابين، وركل وغد السلة الكبيرة الملونة بلون الفجل الأحمر وغمرني بالسخرية، ومر كمن فعل ذلك سهوًا، اووووه يا لها من سخرية! وأنا من كنت أحلم أن أكون لصًا كبيرًا مثل "روكامبوليه" وشاعرًا عبقريًا مثل "بويديلايرى". فكرت: هل لابد أن أتألم كثيرًا لأعيش ؟! كل ذلك... يجب أن أعبر بالسلة بجوار الفاترينات اللامعة.

ضيعنا النهار ونحن نتجول في سوق "البلاتا" لنشتري ورق عنب، أو شريحة قرع، أو حزمة خس، طُفنا بأكشاك البيع متجادلين حول قطع نقود بخمسة سنتات مع بائع الخضار الذي كان يشتمهم بلهجة لا أفهمها.

كان دون"جايتانو" شخصًا جميلاً يا له من رجل! كان سلوكه مثل الفلاح الماكر الذي يرتكب الحماقات وينكت عندما يدرك أنه لا يستطيع الغش، يتشمم الأخبار عن التجار بتدخله مع الخادمات والعاملات، مستطلعًا بفضول على الأشياء التي يجب ألا تعنيه، يلقي السلام مهرجا، ويقترب من طاولات السمك المصنوعة من القصدير، ويفحص خياشيم القراميط والماكريل، وكثيرًا ما يأكل دون شراء إما جمبري أو محار، يمر بكشك بيع الكرشة والأحشاء، ومن هناك إلى بائعي الدجاج، وقبل أن يشتري شيئًا يشم الطعام ويلمسه بعدم ثقة. إذا غضب التجار، يصيح بوجههم مبررًا بأنه لا يريد أن ينخدع ، فهو يعلم أنهم لصوص، لكنهم كانوا يخطئون إذا حسبوه أحمقًا؛ لأنه كان في غاية البساطة. كانت بساطته هذه عبارة عن بذاءة وفحش في الكلام، وحماقة طائشة مثل الأوغاد.

كان يختار بصبر مثير للغضب ورق العنب أو القرنبيط، وبنفس الطريقة يطلب السعر، لكنه يكتشف فجأة سعرا آخرا يبدو له مناسبًا أكثر أو أكثر غلوًا، ويكون ذلك هو سبب النزاع بين بائع الخضار ودون "جيتانو"، كلاهما يسرق ويسبب الضرر للآخرين بالرغم من أن ذلك من الممكن أن يكون على سنت واحد، نيته كانت بالغة السوء• لا يدفع أبدًا السعر المشروط•

ذات مرة بينما كنت أحرس السلة، ابتعد دون "جيتانو" وأدخل أصابعه في جيب القميص، أخرج المال وعده، وأعاد عده مرة أخرى، ورماه باحتقار فوق الطاولة وكأنه يؤدى معروفًا للتاجر، ثم ابتعد سريعًا• إذا صرخ التاجر يجيبه• لتكن هادئًا•

كانت لديه الرغبة في الحركة، كان ذواقًا، يدخل في غيبوبة بسبب المعاملات التجارية التي يبذل فيها المال• يقترب من بائعي لحم الخنازير ليطلب سعر السجق، ويفحص بجشع رؤوس الخنازير الوردية ويلفها ببطء تحت النظرة المتبلدة للتجار أصحاب الكروش بالمريلة البيضاء، يحك خلف الأذن وينظر بشغف للأضلاع المعلقة على الحديد، وإلى كتل شحم الخنزير الموجودة بالدكان، ويقلب في المخ كما لو كان يحل مشكلة• ينتقل لكشك أخر ليتناول قطعة من الجبن أو ليعد كم كشك ألماز موجود بالربطة، وليجعل يديه متسختين بالخرشوف واللفت، ويأكل بذر القرع، أو يفحص البيض في النور، ويتلذذ بقوالب الزبد الرطب، وهو مازال يشم رائحة القشدة•

تغدينا تقريبًا في الثانية ظهرًا• وضع دون "ميجل" الطعام على صندوق الكيروسين، وأنا أجلس على ركن المائدة مشغولاً بالكتب، والمرأة السمينة في المطبخ، ودون "جيتانيو" على طاولة الدكان• غادرنا الكهف في الحادية عشر مساءً• عبر دون "ميجل" والمرأة البدينة وسط شارع "ألوستروسا" بالسلة، حيث كانت تتخبط عدة عمل القهوة، وكان دون "جيتانيو" مواريًا يديه في جيبيه والقبعة على رأسه، وتتدلي خصلة من

شعره على عينيه، وأنا خلفهم أفكر كم كان يوم العمل الأول طويلاً!
صعدنا، وبمجرد الوصول إلى الممر، سألني دون"جيتيانو": أنت، هل أحضرت معك مرتبة؟
-أنا، لماذا؟
-يوجد هنا سرير صغير دون مرتبة.
-ألا يوجد شيء لنغطيه به؟

نظر دون "جيتيانو" حوله، ثم فتح باب غرفة الطعام، وكان يوجد فوق المنضدة غطاء أخضر ثقيل من الصوف، دخلت دونا "ماريا" بالفعل حجرة النوم، عندما أمسك دون "جيتيانو" الغطاء من طرفه، حمَّلني مسئوليته، وقال غاضبًا: لتكن هادئًا.
ودون أن يرد على قولي له : "تصبح على خير."، أغلق الباب في وجهي.
ظللت في حيرة من المسن الذي أشهد على سخطه بهذا السب المكتوم: عليك اللعنة "ديو فيتنتيه".
ثم شرع في المشي وأنا أتبعه.

كانت الغرفة الصغيرة المتسخة التي يعيش فيها المسن الجائع الذي لقبته منذ هذه اللحظة ب"ديو فتينتيه" كانت عبارة عن مثلث سخيف، ذو سقف مرتفع جدًا وشباك صغير مستدير يطل على شارع "إسميرالدا"، ويُرى منه مصباح القوس الكهربائي الذي يضئ الشارع، كان الزجاج مكسورًا، فكانت عصفات الريح يتسلل منه، والتي كانت تجعل اللهيب الأصفر للشمعة المثبتة في الشمعدان المعلق على الحائط يتراقص بالقرب من الحائط يوجد سرير بحوامل خشبية على شكل صليب وبمخدة طويلة مصنوعة من القطن.

خرج "ديو فيتينتيه" ليتبول من الشرفة، ثم جلس على صندوق خشبي. خلع القبعة والحذاء ولفَّ الشال حول رقبته بشكل أنيق، وتهيأ لمواجهة البرد، دخل السرير بحذر وغطى جسده حتى لحيته بالبطانيات،

وهى عبارة عن أكياس من الخيش مملوءة بالخرق عديمة الفائدة• أضاء ضوء الشمعة الخافت وجهه ذوالأنف الحمراء الطويلة، والجبين المنبطح المخطط بالتجاعيد، والجمجمة الصلعاء التي يوجد بها أثارا للشعر الأبيض فوق الأذنين• أزعجه الهواء الذي كان يدخل؛ فمد "ديو فيتينتيه" ذراعه، وأمسك بالقبعة، وغرزها على أذنيه، ثم أخرج من الحقيبة عقب سيجارة "توسكانية" وأشعله، ووضع يديه الاثنتين تحت رقبته، وظل ينظر إليَّ مكتئبًا•

بدأت أفحص سريري• لابد أن كثيرًا قد عانوا منه؛ لأنه كان سيئًا للغاية• كانت أطرافه ممزقة ومتطايرة في الهواء بروعة، واستُبدلت المُلَل بأسلاك نحاسية، ومع ذلك لن أكون سعيدا في الليل• بعد أن تحققت من ثباته، قلدت "ديو فيتينتيه"، وخلعت الحذاء ولففته في جريدة واستعملته كوسادة، تغطيت بالغطاء الأخضر، وسقطت على السرير الخانق، وعزمت النوم• كان سرير سيئًا جدًا دون جدال، كان حثالة الحي اليهودي، كان أبشع سرير رأيته في حياتي•

غرزت الأسلاك النحاسية الملفوفة، بدت أطرافه تريد أن تخترق اللحم الموجود بين ضلوعي• ينخفض الحديد في جزء ويرتفع بمرونة رائعة في جزء أخر، في كل حركة أفعلها يئن السرير بصوتٍ عالٍ ويصر بأصواتٍ رائعة شبيهة بلعبة التروس الغير مشحمة، لم أجد جلسة مريحة، كان زغب الغطاء القاسي يخدش حلقي، وخدرت حافة الحذاء رقبتي، كانت أطرافه المرنة المطوية تقرص لحمي، عندئذ: أيييييه تحدث يا دون "فيتينتيه"!
أخرج المسن رأسه الصغيرة من الغطاء الخشن مثل السلحفاة وقال: تحدث يا دون "سيلبيو"•
-لماذا لا تلقون بهذا السرير في القمامة؟!
-أجابني المسن المحترم بصبر قليل بتنهيدة عميقة معللاً أن الله يشهد على كل معاناة الإنسان•
-قل لي يا دون "فيتينتيه"، ألا يوجد سرير أخر؟! لا أستطيع النوم هنا•
-هذا المنزل هو الجحيم يا دون "سيلبيو"•

وخفض صوته خوفًا من أن يُسمع: هذا هو••• الزوجة••• الأكل•••
-آآآه يا دون"فيتينتيه"، ما هذا المنزل؟!
أطفأ المسن النور، وفكرت: قطعًا سأنتقل من السيئ للأسوأ•

أسمع الآن صوت المطر يسقط على السقف الزنك• أقلقني فجأة بكاء خانق، كان المسن يبكي• من الألم والجوع، وكان ذلك هو أول يوم عمل لي•

أحيانًا، في الليل، كانت توجد وجوه فتيات جارحة بسيوف من الرقة والعذوبة، كنا نفترق وتظل روحنا مظلمة ووحيدة مثلما يكون بعد أي حفلة• كانت عروض استثنائية، كن يذهبن ولا نعرف غيرهن، ومع ذلك صاحبننا بإحدي الليالي بنظرتهن المعلقة بعيوننا الساكنة، ونحن مجروحين بسيوف الرقة والعذوبة، نفكر كيف سيكون حب هؤلاء الفتيات بهذه الوجوه التي تخترق الجسد• جفاء محزن وشهوانية عجيبة فظة وآمرة تسكن الروح، نفكر كيف يملن رؤوسهن قليلاً باتجاه السماء وشفاههن مفتوحة قليلاً• نفكر كيف تصيغ أيديهن تفاصيل الجسد الصغير•••

الوجوه••• وجوه الفتيات الناضجة التي تقاوم اليأس من الفرح• الوجوه التي تزيد الضعف المتقد فجأة في القلب، وجوه لا تكَذِّب الرغبة فيها خيال اللحظة، كيف يأتين ويحتلن لياليا! ظللت لساعات متواصلة أتتبع بعيني صورة الفتاة التي تركت طوال النهار جزع الحب• أتأمل رويدًا سحرها الذي يخجل من استحقاقه للعبادة والحب، فمها مخلوق فقط للقبلات الكبيرة• أرى جسدها المذعن يلتصق بالجسد الداعي لخيبة الأمل ويصر على لذة الخمول في أجزائها الصغيرة الرائعة المدمرة، والنظرة المشغولة بالوجه والجسد الصغير على الألم وعلى الأمومة، تبسط ذراعها نحو جسدي المسكين وتجلده وتتركه مقتربًا من اللذة•

في هذه اللحظة عاد دون "جايتانو" من الشارع ودخل المطبخ، نظر إليَّ وهو عابس، لكنه لم يقل شيئًا• انحنيت فوق برطمان الغراء في

الوقت الذي كنت أصلح فيه كتابًا مفكرًا في هبوب العاصفة؛ وبالفعل بعد وقت قليل تشاجر الزوجان• تتبعت المرأة البيضاء الساكنة وهي تسند مرفقيها على الطاولة ويداها ملتصقتان بطيات منديل الرأس الأخضر، زوجها بعيون قاسية•

كان دون "ميجل" يغسل الأطباق في المطبخ في وعاء كبير مشحم• كانت أطراف الشال تحتك بحواف الوعاء• أرتدى مريلة بمربعات حمراء وزرقاء مربوطة على الوسط بخيط رفيع لتقيه من رشرشة المياه•
-ما هذا المنزل "ديو فيتينتيه"؟!

لابد أن أنبه أن المطبخ كان أمام مرحاض كريه الرائحة، كان بأحد أركان الكهف ومغطى بظهور خزانات الكتب، فوق مائدة قذرة كانت قطع صغيرة من اللحم والبطاطس مكومة مع بقايا الخضروات التي صنع بها دون"ميجل" حصة الطعام اليومية الهزيلة بمنتصف النهار، والمتبقي من شرهنا سينفع في الليل على هيئة طبيخ غير مألوف•

كان "ديو فيتينتيه" عبقري وساحر هذا الكهف النتن• هناك لعنًا حظنا، ولجأ دون "جيتانو" أحيانًا للتفكير وهو حزين للقلق الذي آتاه من الزواج، وانتهى الكره الذي اختلج في صدر زوجته بالانفجار•
غادرت المرأة الطاولة وهي مخدرة من غضب كئيب وسحبت الحذاء من على البلاط، ويداها موضوعة على منديل الشعر، والشفاه مضمومة، والجفوة ثابتة، كانت تبحث عن زوجها•

أتذكر مشهد هذا اليوم:
تظاهر دون"جيتانو" هذا الصباح كالعادة، إنه لم يرها على الرغم من أنها كانت على بعد ثلاث خطوات منه• ما رأيته أن الرجل أمال رأسه على كتاب ما متظاهرًا بأنه يقرأ العنوان، وقفت قائلة بصوت أحدث بعض الرتابة•
-أنا جميلة• ماذا فعلت أنت بحياتة؟!

تحركت الشعرات على جبينه كما لو كانت الرياح تمر• هز الارتياع جسد دون "جيتانو"• ألقت إليه هذه الكلمات الغليظة واليأس يملأ حنجرتها: أنا الذي رفعتك••• ما كانت والدتك إلا امرأة عاهرة تمشي مع كل الرجال! ماذا فعلت في حياتي؟!

-أجاب دون "جيتانو" بصوت خشن: ماريا، اخرسي!

-نعم من نزعك من الجوع وألبسك•••؟! أنا، يا قذر!••• أنا أعطيتك لتأكل!

ارتفعت يد المرأة كما لو كانت تريد أن تصفع الرجل على خده• تراجع دون "جيتانو" مذعورًا، قالت بالمرارة التي كان يختلج فيها البكاء، بكاءً مرًا: ماذا فعلت بحياتي يا عاهر؟! أنت في منزلي مثل القرنفل في المزهرية، لم يكن هناك فائدة من زواجي بك، قذر•••

التوت شفاه المرأة بتشنج كما لو كانت تمضغ كرها لزجا مرعبا، وخرجت لأطرد الواقفين عند مدخل المتجر• صرخت بوجهي آمرة: أتركهم "سيلبيو" ليعلموا••• من يكون هذا الوقح؟!

واصلت حديثها وهي أكثر شحوبًا وعينها تدور معطية إحساسا بأن وجهها يدنو كما هو في خلفية الشاشة: إذا كنت مختلفة، أو أمشى شاردة هنا، فإنني أعيش أفضل•••؛ فأنا أبعد ما يكون، خنزيرة مثلك• صمتت وهدأت•

انتبه دون"جيتانو" حينئذ لوجود رجل مرتدٍ معطفًا خفيفًا بنظارات كبيرة من الذهب ممتطية أنفه الصغيرة المائلة للإحمرار من البرد• ثارت من عدم اكتراثه؛ لأنه اعتاد على هذه المشاهد ، و كان يفضل أن يهان على أن يخسر منافعه، فصاحت المرأة: تجاهله يا سيد، ألا ترى أنه لص "نابولي"؟!

التفت الرجل المسن مذهولاً؛ ليرى المرأة الثائرة وهي تقول: يطلب منك عشرين جنيهًا في كتاب يساوي أربعة بيزو •

ولأن دون"جيتانو" لم يلتفت؛ صرخت حتى احتقن وجهها: نعم، إنه لص،

لص! وبصقت على مكتبه وعلى وجهه المشمئز• قال الرجل المسن وهو يخلع النظارة: سأعود في يوم أخر•

ثم خرج غاضبًا، عندئذ مسكت دونيا "ماريا" كتابا وألقته فجأة على رأس دون"جيتانو"، ثم الآخر فالآخر، بدا دون "جيتانو" محتقنا من الغضب، وفجأة نزع رابطة العنق السوداء من حول رقبته كما لو كان قد تلقى ضربة على أصداغه، ثم بدأ يركض و خرج إلى الشارع بعينيه تقفز من مداراتها، ووقف في منتصف الطريق محركًا رأسه العارية المحلوقة مشيرًا عليها للمارة كالمجنون والأذرع ممدودة• ناداها صارخا بصوت متغير من الغيظ: حيوانة••• حيوانة••• حيوانة صغيرة!

اقتربت منى وهي مسرورة قائلة: رأيته كيف يكون؟ !لا يساوي••• قذر! أؤكد لك أنني أردت أن أتركه، والتفتت للطاولة، وربعت يديها، وظلت شاردة الذهن بنظرتها القاسية إلى الشارع، فجأة قالت: "سيلبيو"! سيدي•

-كم يوم لك؟!

-ثلاثة، عددهم اليوم يا سيدتي•

-تفضل•

ناولتني المال وأشارت: لا تثق به؛ لأنه محتال••• احتال على شركة تأمين، بالنسبة لي كنت أريده بالسجن•

توجهت أنا للمطبخ•

-ما رأيك في ذلك يا "ميجل"؟!

-الجحيم، دون "سيلبيو" يا لهذه الحياة! "ديو فيتينتيه"!

هدد المسن السمو والرفعة بقبضة يده، وأطلق تنهيدة عميقة، وأمال رأسه فوق الطبق، وواصل تنظيف البطاطس•

-لكن ما سبب هذه المشاجرات؟!

-أنا لا أعلم••• ليس لديهم أولاد••• هو لا يقوم بأي عمل•••

-ميجل•

-سيدتي•

أمر الصوت الحاد: لا تصنع طعاما؛ اليوم لن يؤكل فيه، ومن لا يعجبه مأمور بأن ينتقل•

كانت ضربة قاضية• سقطت بعض الدموع على الوجه المتداعي للجائع• مرت بعض الثواني•

-سيلبيو•

-سيدتي•

-تفضل خمسين سنتًا، ستأكل منهم•

لفت ذراعها على طيات منديل الرأس، واستردت موقفها الشرس كالعادة، وانزلقت دمعتان بيضاوان على خديها الشاحبين إلى طرف فمها، همهمت متأثرا: سيدتي•••

نظرت إليَّ ، ودون أن تحرك رأسها ابتسمت بتشنج من الموقف الغريب، وقالت: اذهب وارجع في الخامسة•

استغليت وقت الفراغ في المساء ، وعزمت على الذهاب لأرى السيد "بيثنتيه تيموتيو سووثا" والذي نصحني به رجل غريب، ضغطت على زر الجرس الكهربائي، وظللت أنظر للسلم الرخامي ذي السجادة الحمراء مسندة بمواسير برونزية تتندى من الشمس من خلال زجاج الباب الحديدي الثقيل• فتح البواب برفق مرتديًا بدلة سوداء: ماذا تريد؟!

-هل السيد "سووثا" موجود؟!

-من أنت؟

-أستير•

-أس•••

-نعم أستير، أستير سيلبيو•

-انتظر، سأرى•

وبعد أن فحصني من قدمي إلى رأسي، واختفي وراء باب غرفة الاستقبال المغطاة بستائر طويلة بيضاء وصفراء• انتظرت متضايقًا بقلق عالمًا أنه بكلمة من هذا السيد العظيم المدعو "بيثنتيه تيموتيو سووثا" يمكن أن يغير مصير شبابي سيىء الحظ• فتح الباب الثقيل من جديد قليلاً، وبكل وقار قال لي البواب: قال السيد"سووثا" أن تأتي في غضون نصف ساعة•

-شكرًا•••شكرًا•••مع السلامة•
وانسحبت شاحبًا•
دخلت دكان ألبان قريب من المنزل، وجلست بجوار مائدة وطلبت من الفتى قهوة• فكرت: بلا شك إذا استقبلني السيد "سووثا"، فسيمنحني الوظيفة الموعودة• استمريت قائلاً:
-لا، ليس معي حق كي أفكر بسوء في "سووثا"، من يدري؟! كل الأشغال التي عنده لكي لا يستقبلني•••
-آآآه يا سيد "بيثنتيه تيموتيو سووثا"!

قد قدمني له في صباح يوم شتوي المتصوف "ديمتريو" الذي كان يحاول أن يحل موقفي• جلسنا في غرفة الاستقبال حول منضدة مزخرفة بأطراف متموجة• تحدث السيد "سووثا" بخدوده المحلوقة وحدقتيه اللامعتين من وراء النظارة الأنفية• أتذكر أنه كان يرتدي رداءً خفيفا بشريط مزين بعرق اللؤلؤ، وفتحة الكم منقوشة، لونه مخصص للفت الانتباه، ولكي يتسلى يمكن أن يبيح لنفسه حرية التحدث مع شيطان مسكين• تحدثنا، وأشار لتكويني النفسي قائلاً: هياج الحصان، شخصية صعبة المرأس، جمجمة منبطحة من عند مؤخرة الرأس، نبض مرتجف وطبيعة رومانسية•••التفت السيد "سووثا" للمتصوف الرائق قائلاً: سأجعل هذا الأسمر يدرس الطب• ما رأيك يا "ديمتريو"؟!
قال الصوفي دون أن يتأثر: حسنًا••• برغم ذلك كل إنسان من الممكن أن يكون مفيدًا للإنسانية، مهما كان وضعه الاجتماعي ضئيلاً جدًا•
-هههههه، حضرتك دائمًا فيلسوف•
والتفت السيد "سووثا " قائلاً: لنرى••• صديقي "أستير"، أكتب لي كل ما يحدث لك في هذه اللحظة•
ترددت، ثم كتبت بقلم رصاص ثمين من الذهب أعطاه لي الرجل باحترام: الجير يفور عندما يبلونه•
-أنت فوضوي، أليس كذلك؟! احترس من عقلك، صديقي الصغير، احترس منه؛ لأنك ستعاني من تعب مزمن وأنت بين العشرين والثانية والعشرين• تساءلت كمن يتجاهلك

_ماذا تريد أن تقول ؟! أعاني من تعب مزمن.
-مازلت أخجل الآن عندما أتذكر الموقف.
رتب كلامه: إذا جاز التعبير. كل مشاعرنا تختلط لتكون مسيطرة.
واستكمل حديثه: قال لي الصديق "ديمتريو" أنك اخترعت أشياءً لا أعرفها.

تسللت كمية كبيرة من ضوء الشمس من زجاج النافذة ، وأحزنني تذكر الفقر فجأة بشكل جعلني أتردد في إجابته، لكنني فعلت ذلك بصوت خافت.
-نعم... بعض الأشياء الصغيرة... قذيفة ملوحة وعداد نجوم أوتوماتيكي.
قاطعني وهو يدلك يديه: نظرية... أحلام... أنا أعرف "ريكالدوني"، وهو بكل اختراعاته لم يكن أكثر من عالم فيزياء بسيط.

شعرت بأنني محطم من الحنق. استمر: هل تعرف من حصل على براءة اختراع لعبة الشيطان؟! هو طالب سويسري كان يتضايق من الشتاء في غرفته. فاز بأموال كثيرة، مثل الأخر الأمريكي الذي اخترع القلم الرصاص بالممحاة في طرفه.

صمت وأخرج علبة سجائر من الذهب على ظهرها وردة حمراء. عرض علينا سجائرا من التبغ الأشقر. واصل السيد "سووثا" حديثه: نتحدث في شيء أخر. وفقًا لما أخبرني به الصديق الموجود هنا؛ فأنت بحاجة لوظيفة.
-نعم يا سيد، وظيفة أستطيع الارتقاء من خلالها؛ لأنني...
-نعم... نعم... أعرف بالفعل، منزل شخص "نابولي"... أعرف بالفعل...إنسان خاضع. حسنًا... حسنًا، أعتقد أنه لن توجد عوائق. اكتب لي خطابا واشرح لي بالتفصيل كل صفات شخصيتك بصراحة. لا تشك في مساعدتي لك، عندما أعد أفي بالوعد.
نهض من على الكرسي بلامبالاة.

-صديقى "ديمتريو"••• الشخص الرائع••• تعالى لتراني قريبًا؛ لأنني أريد أن أريك بعض الصور• "أستير" الشاب أنتظر خطابك•
وأشار مبتسما: احترس من أن تخدعني•
قلت مرة أخرى في الشارع بحماس للمتصوف: السيد "سووثا" رجل طيب، وكل ذلك يرجع لك•••شكرًا جزيلاً•
-سنرى••• سنرى•••
توقفت عن استحضار الذكرى؛ لكي أسأل الفتى عن الساعة•
-الثانية إلا الربع•
-متى سيأتي السيد "سووثا"؟
-خلال شهرين كتبت له كثيرًا، أصف له موقفي المتعثر، وبعد صمت طويل من الخطابات المختصرة دون توقيع ، والمكتوبة على الماكينة، تفضل الرجل الثري باستقبالي•
-نعم، من المؤكد أنه سيمنحني وظيفة ربما في إدارة البلدية أو في الحكومة• إذا كان مؤكدا، فيا لها من مفاجأة لأمى!

عندما تذكرتها في دكان الألبان الملىء بحشد الذباب المتطاير حول هرم من الكعك والخبز باللبن، أدمعت عيناي لحنين مفاجئ• رميت السيجارة، ودفعت ثمن ما أكلته، وتوجهت لمنزل "سووثا"• خفقت عروقي عندما كنت أنادي• سحبت إصبعي من على زر الجرس مفكرًا: لن يعتقد أننى متسرع؛ لأنه استقبلنى، و هذا الشئ يزعجه•

كم كنت خجولاً من المناداة الحذرة! بدا لي في ضغطي على الجرس أنني كنت أريد أن اقول: سامحني إذا أزعجتك سيد "سووثا"، لكنني أحتاج لوظيفة•
فُتح الباب• تلعثمت: السيد•••
-تفضل•

صعدت السلم على أطراف أصابعي وراء الخادم• حككت نعل حذائي في عتبة الباب؛ حتى لا يتسخ شخص هناك، على الرغم من أن الشوارع

كانت جافة. توقفنا في الدهليز، كان مظلما. رتب الخادم سيقان النباتات في مزهرية زجاجية بجوار المنضدة، فُتح الباب ، ومثل السيد "سووثا" ببدلة الخروج ونظرته مليئة بالشر تلمع من وراء زجاج نظارته. صرخ بوجهي بقوة: من أنت؟!

-أجبت مرتبكًا: لكن يا سيدي، أستير...

-أنا لا أعرفك يا سيد، لا تزعجنى أكثر من ذلك بخطاباتك الوقحة.

-"خوان" صاحب السيد "للباب".

ثم عاد وأغلق الباب بقوة ورائي. مشيت الطريق إلي الكهف مرة أخرى تحت ضوء الشمس وأنا أكثر حزنًا.

في إحدي الأمسيات بعد أن تشاجرا حتى نبح صوتهما. أدركت زوجة دون "جيتانو" أنه لن يتغير الحال مثل المرات الأخرى فرحلت هى. خرجت حتى شارع "اسميرالدا" وعادت إلى الشقة بحزمة بيضاء، ولكي تؤذي زوجها الذي كان يدندن مقطعا شعريًا على باب الكهف، توجهت للمطبخ ونادتنى أنا و"ديو فيتينتيه". أمرتني وهي شاحبة من الحنق: أخرج هذه المائدة يا "سيلبيو".

اخضرت عيناها أكثر مما سبق واحمرخديها، ودون أن تنتبه لاتساخ طرف التنورة من رطوبة الغرفة الصغيرة المتسخة، انحنيت لتجهز الأمتعة التي تحملها. سحبت المنضدة؛ محاولاً ألا أتلطخ بالشحم. كانت المنضدة مليئة بالشحم بأربعة أرجل تالفة، حيث كان يُعد التعيس "ديو فيتينتيه" طعامه الرديء، قالت المرأة: اجعل الأرجل لأعلى.

أدركت تفكيرها، أرادت أن تقلب المنضدة، لم أخطئ التفكير، مسح "ديو فيتينتيه" خلفية المنضدة بالمكنسة ليزيل خيوط العنكب، بعد أن كساها بقطعة ثوب مرقعة، وضعت المرأة على اللوح الخشبي حزمة بيضاء والأواني المليئة بالأطباق والسكاكين الشوك، وربطت السخان ماركة "بريموس" بخيط في أحد أرجل المائدة. احمرت من التعب، وقالت وهي ترى كل شيء جاهزا: سيذهب هذا الكلب ليتغذى في مطعم الدرجة

الثانية•

بعد انتهائها من ترتيب الحزم، انحنى "ديو فيتينتيه" فوق المائدة، كانت المائدة تبدو مثل أربعة أياد وقبعة، أمعنت التفكير وأنا أضع يدي حول خصري، من أين يجهز لنا دون"جيتانو" طعامنا اليومي البسيط؟!

-أمسكها من الأمام•

أمسك "ديو فيتينتيه" حافة المنضدة غاضبًا، وأنا أيضًا• صرخت المرأة بقوة: على رسلك•

سقطت بعض الكتب ونحن نعبر أمام دون"جيتانو"، صاح قائلاً: ارحلي يا عاهرة•••ارحلي•

صرت بأسنانها غاضبة•

-لص! سيأتي القاضي غدًا •

وبعد إشارتي تهديد، ابتعدنا•

كانت الساعة السابعة مساءً، وكان شارع "لا لباييه" في كامل رونقه الفاخر، بدت المقاهي من الواجهات الزجاجية مكتظة بالزبائن، وفي ساحات السينما والمسارح كان ينتظر المتفرجون الأنيقون، ونوافذ بيوت الأزياء بالأرجل المكسوة بالجوارب الرقيقة والأيادي المدودة، مطلية بالنيكل، وواجهات دكاكين التجبير ودكاكين المجوهرات تُظهر في سعتها مكر هؤلاء التجار الذين يجذبون بالبضائع الماكرة شره الأثرياء• كان المارة يفحصون خطواتنا ليس لكوننا نلطخ ملابسهم بالوسخ الذي نحمله• فكرت في خجل في مظهر الصعلوك الذي كنت عليه، ولكي يزداد الأمر سوءً كما لو كان يجهر بالخزى والعار، كانت الأغطية والأطباق تصدر صوتا يحدث ضجيجا• وقفت الناس تنظر لنا مسرورين من المنظر• لم أوقف نظرتي عند أحد، وتحملت بصبر المزحات التي يثيرها منظرنا مثل المرأة السمينة القاسية التي كانت تتصدر الموكب•

رافقتنا عربات كثيرة عرض سائقوها علينا خدماتهم، لكن دونيا "ماريا" كانت صماء إزاء الجميع، سارت أمام المائدة التي كانت أرجلها تضيئ عند المرور أمام الواجهات الزجاجية•

كف السائقون في النهاية عن تعقبهم• أدار "ديو فيتينتيه" وجهه الملتحي فوق الشال الأخضر لدقائق، كانت قطرات العرق الكثيفة تجري على خديه المتسخين، ومن عينيه اللتين تثيران الشفقة يلمع يأس تام مثل الكلاب•

استرحنا في ميدان "لابيبا"، وضعت دونيا "ماريا" المنضدة على الأرض وفحصت بعناية حمولتها، وراجعت الأمتعة ، ونظمت الأواني التي أعادت تأمين أغطيتها بالحواف الأربعة لقطعة القماش المرقعة• التف ماسحو الأحذية وبائعو الخضرة في حلقة حولنا• جنبنا الوجود الحكيم لضابط شرطة مشاكلا كثيرة محتملة• واصلنا المسير مرة أخرى• كانت دونيا "ماريا" ذاهبة لأختها التي تعيش في شارعي "كاياو" و"بيامونتيه"• استدار لي وجهها الشاحب للحظات ونظرت إليَّ، وعلت شفتيها الشاحبتين ابتسامة وقالت لي: هل تعبت يا "سيلبيو"؟!

-لا يا سيدتي•

عاودت الضحك بابتسامة غريبة

-ذكرتني بابتسامة "إنريكي ايرثوبيتا "، عندما هرب من رجال الشرطة، وتقدمت بحماس•

نمشي الآن بشوارع منعزلة مضيئة قليلاً، توجد على حافة الأرصفة شجرات موز ضخمة ، وعمارات جميلة شاهقة، وواجهات مغطاة بستائر كبيرة، مررنا بجوار شرفة مضيئة، كان هناك شاب وفتاة يتحدثان في الظل، يتسلل لحن البيانو من الصالة البرتقالية• اعتُصر قلبي بأكمله من الحسد والهم• فكرت في أنني لن أكون مثلهم أبدًا، لن أعيش أبدا في منزل جميل و يكون لي حبيبة أرستقراطية• انقبض قلبي من الحسد والهم ، قالت المرأة: اقتربنا•

وسَّعت تنهيدة عميقة صدورنا، عندما رآنا دون "جيتانو" ندخل الكهف، رفع ذراعيه للسماء وصرخ بسرور: هيا بنا يا أولاد لنأكل في المطعم! أيعجبك هذا يا دون "ميجل"؟!

ثم ذهبنا من هنا.

-أغلق... أغلق الباب يا قذر!

تغير وجه دون "جيتانو" المتسخ بابتسامة طفولية عجيبة.

أحيانًا أفكر ليلا في الجمال الذي يهز به الشعراء العالم، ويفيض كل قلبي بالألم كالصرخة. أفكر في حفلا الأغنياء في الأماكن المليئة بالأشجار والمضاءة بمشاعل الشمس في الحدائق المزهرة، ومن بين الأيادي يتهاوى فقري. أبحث عن قصيدة لا أجدها، قصيدة الجسد الذي استوطن اليأس فجأة في لحمه بألف فم كبير ومائة ألف شفاه صارخة، يصل لأذني أصوات بعيدة وألعاب نارية ساطعة، لكنني هنا بمفردي مثبت بأرضي الفقيرة بتسعة مسامير.

الدور الثالث شقة رقم ثلاثة بركة رقم ١٦٠٠، هذا هو العنوان حيث يجب أن أسلم حزمة الكتب.

غريبة وفريدة هذه البيوت الفخمة. من الخارج بخطوطها المتناسقة بالمساحات الفاصلة التي تمجد فخامة الكرانيش المعقدة والشامخة، ونوافذها الكبيرة المحمية بالزجاج المضلع تجعل الفقراء الشياطين يحلمون بتحسينات معقولة من الترف والثروة. من الداخل ظلام يعم أقطاب الدهاليز الكبيرة المنفردة، يرعب روح محب السماوات الفخمة لبيوت المحاربين الأموات في السماء.

وقفت بجوار البواب، إنه إنسان قوي البنيان، يقرأ بغرو، بداخل بدلته الزرقاء جريدة، فحصني مثل الكلب ذي الثلاثة رؤوس من قدمي لرأسي، ثم فرح لتحققه من أنني لست لصًا. وبتسامح يتولد فقط من القبعة الفخمة الزرقاء بقيطان الذهب على حافته أعطاني الأذن لأدخل وأعطاني إشارة قائلاً: المصعد على الشمال.

عندما خرجت من القفص الحديدي وجدت نفسي في دهليز مظلم بسقف منخفض، نشر مصباح بلوري ضوئه الخافت على البلاط المصقول،

كان باب الشقة المقصودة مكونا من لوح خشبي واحد دون زجاج، ويبدو من قفله المستدير أن الباب مكون من صندوق أثري من الفولاذ، دققت الجرس وسمحت لي خادمة -مرتدية فستانا أسودا ومريلة بيضاء- بالدخول لصالة مغطاة مدهونة باللون الأزرق المزخرف بزينة نباتية من الذهب، ومن خلال الزجاج المغطى بقماش "الموهير" الشفاف، توغل ضوء أزرق لأحد المستشفيات، كل شيء يُرى من بيانو وألعاب أطفال، وبرونزيات، ومزهريات.

وفجأة فاحت رائحة عطر رقيق جدا، فُتح باب جانبي، ووجدت نفسي أمام سيدة وجهها كالطفلة بشعر مجعد خفيف على خديها وفتحة البرنس المشعر ذي اللون الكريزي واسعة لا يصل ليغطى الحذاء الأبيض الذي يتخلله اللون الأحمر.

-ماذا لديك يا "فاني"؟!

-بعض الكتب من السيد.

-يجب أن يسدد ثمنهم؟!

-ثمنهم مدفوع.

-حيث.....

-حسنًا. أعطى الطفل بعض المال.

أمسكت الخادمة بصينية بها بعض النقود لكي تعطيها لي، عندئذ جاوبتها: أنا لا آخذ بقشيشا من أحد.

أرجعت الخادمة يدها بقوة، وفهمت العاهرة إشارتي، أعتقد أنه كذلك؛ لأنها قالت: جيد جدًا، جيد جدًا، أنت لا تحصل على هذا؟!

وقبل أن أتجنبها أو بالأحرى أرحب بها على أكمل وجه، قبلتني المرأة الضاحكة، ورأيتها أيضًا تضحك عندما اختفت مثل الطفلة من الباب الموارب.

استيقظ "ديو فيتينتيه" وبدأ يرتدى الحذاء، جلس على حافة الفراش الحقير متسخًا وملتحيًا وهو ينظر حوله بضيق، مد ذراعه و تناول



obeikandl.com

القبعة، وأدخل رأسه فيها حتى أذنيه، ثم رأى قدميه المغطاة بالجورب الأحمر الخشن، ثم أدخل إصبعه الصغير في أذنه وأخرجه سريعًا محدثًا صوتًا كريه، انتهى بأن قرر و لبس الحذاء، سار إلى باب الحجرة الصغيرة وهو منحنيًا• عاد ونظر إلى الأرض ووجد عقب سيجارة، رفعه ونفضه من التراب الملتصق وأشعله وخرج، سمعته وهو يجر قدميه على أرض الشرفة•

سمحت لنفسي أن أكون••• أفكر أو لا ••• لا أفكر، بالأحرى كان بداخلي حنين ممتع وعذاب أمتع من التشكك بالحب، وتذكرالمرأة التي أعطتني قبلة كبقشيش، كنت مليئًا بأحاسيس غير واضحة وغموض مثل الضباب الكثيف، وتوغل بكياني كله كل الأهواء، أتذكر لدقائق الرائحة الذكية التي اخترقتني، أعرف أنه إذا تقابلت معها مرة أخرى سأموت من الحب، لا يعنيني إذا كانت ملك لرجال كثيرة، ولا إذا تقابلت معها مرة أخري في نفس الصالة الزرقاء، سأركع على السجادة وأضع رأسي في حجرها وسأفعل كل الأشياء الشائنة واللذيذة كثيرًا لسعادة امتلاكها وحبها، وكلما تزيد رغبتي أخلع الملابس التي تتزين بها العاهرة، والقبعات المتناغمة التي تتغطي بها لتصبح أكثر إغراءً، أتخيلها على السرير شبه عارية أكثر إثارة من كونها عارية تماما• على الرغم من أن المرأة تتراءى لي ببطء، أضاعف الأحداث وأتوقع أن السعادة التي سأجنيها من هذا الحب ستكون مخلوطة بالغنى والمجد• أتخيل أن الأحاسيس تنتشر بجسدي، فمن يوم لأخر أصبح أكثر ثراءً ، استيقظ في غرفة النوم مع حبيبتي الشابة وهى شبه عارية على السرير مثلما أرى في صور الكتاب الداعر• وفجأة كل جسدى، كل جسدى المسكين يستغيث برب السموات•

-أنا، أنا يا رب، لن أملك أبدًا محبوبة جميلة جدًا مثل هذه المحبوبة التي تلمع في صور الكتب الداعرة•

بدأ إحساس بالاضطهاد يشوش حياتي داخل هذا الكهف، وأنا محاط بهؤلاء الناس الذين لا يتفوهون بأكثر من كلمات عن الربح والتوحش• أعدوني بالكره الذي يؤثر في وجوههم، استشعرت في لحظات أن بداخل قفص جمجمتي ضباب أحمر كثيف يتحرك ببطء، يكتسح بعض التعب

المخيف ذراعي• أحيانًا، أريد أن أنام يومين بلياليهما• لدي الإحساس أن روحي مدنسة، وأن مرض هؤلاء الناس يشق جدار روحي ليحفر فيها جحوره المظلمة• اعتدت أن أكون ثائرًا وأستيقظ صامتًا• اتسعت عروقي من اليأس، وشعرت بين عظامي وجلدي نمو قوة لم تكن معروفة من قبل بإحساسي• هكذا كنت أظل ساعات غاضبًا من تجرد الإحساس المؤلم•

بإحدى الليالي أمرتني دونيا "ماريا" وهي غاضبة أن أنظف المرحاض؛ لأنه متسخ و أطعتها دون التلفظ بكلمة• أعتقد أنني أبحث بداخلي عن دوافع؛ لأضاعف النهاية المظلمة•

وفي ليلة أخرى، ضحك دون "جيتانو" عندما أردت الذهاب، وضع يده على بطني وصدري؛ ليتأكد من أنني لم أسرق الكتب المختفية بهذه الأماكن، لم أستطع أن أغضب أو أضحك• كان ذلك ضروريًا لحياتي، الحياة التي خلال كانت تمد رحم المرأة بالألم تسعة أشهر، وعانت كل الإهانات والذل والحنق• بدأت هنا في الاحتراق وأنا أصم، خلال بعض الشهور فقدت استيعاب الأصوات• صمت حاد؛ لأن الصمت يمكن أن يكتسب شكل السكينة وهي تقطع الأصوات في أذني• لم أفكر• تقلص استيعابي للحقد المجوف، وأصبح تجويفه أكثر اتساعًا وقوة• هكذا يطفو حقدي•

أعطوني جرسًا، كان مسليًا، نظر لطولي إنسان حقير مكرس نفسه للخدمة المنحطة كثيرًا• أقف عند باب الكهف في الساعات الأكثر ازدحاما في الشارع، وأرن الجرس؛ لأجذب الناس؛ لأجعلهم يديرون رؤوسهم؛ ليعرف الناس أن هنا يباع كتب، كتب جميلة•••وأن القصص النبيلة والجمال الفائق يجب أن يُشترى من الرجل المغرور أو من المرأة السمينة الشاحبة، وأنا أرن الجرس، كثير من العيون كانت تتفحصني بدقة• أرى وجوه سيدات لن أنساها أبدًا• أرى ابتسامات ذات تعبير محتقر تتلألأ في العيون • آآآه! من المؤكد أنني أصبحت متعبًا••• لكن ألم يُكتب "اكسب العيش بعرق جبينك•"؟!

مسحت الشقة طالبًا الإذن من الفتيات الجميلات لأتمكن من تنظيف المكان، ذهبت للتسوق بسلة كبيرة، وصنعت الطعام اليومي• من المحتمل إذا بصقوا بوجهي أمسحه بهدوء بظهر يدي• يتهاوى فوقي ظلام يتكاثف نسيجه ببطء، راح من ذاكرتي بقايا الوجوه التي أحببتها، أدركت أن أيامي بعيدة فيما بينها بفواصل كبيرة من الزمن•••وجفت عيوني من البكاء، فقلت لنفسي: عانى••• عانى••• عانى••• عانى••• عانى••• عانى••• -عانى••• وكانت الكلمة تسقط من شفتى•
هكذا نضجت في كل الشتاء المضطرب•

في إحدي الليالي في شهر يوليو، بالتحديد في اللحظة التي أغلق فيها دون "جيتانو" الباب الصغير للستارة المعدنية، تذكرت دونيا "ماريا" أنها قد نسيت ربطة الملابس التي أحضرتها الغسالة هذا المساء في المطبخ، عندئذ قالت: "سيلبيو"، تعالى، سنحضرها•

بينما كان دون"جيتانو" يشعل الضوء، صاحبتها• أتذكر بدقة: كانت الحزمة في وسط المطبخ فوق أحد الكراسي• أمسكت دونيا "ماريا" -وهي تعطنيني ظهرها- طرف الحزمة، وعندما أدرت عينيي، رأيت بعض الفحم المشتعل في المجمرة، وفي هذه الفترة القصيرة جدًا فكرت: هذا هو•
ودون تردد، أمسكت جذوة من النار وألقيتها على كومة من الورق الموجود على حافة الخزانة الممتلئة بالكتب، عندما شرعت دونيا "ماريا" في السير، ثم لف دون "جيتانو" المفتاح في القفل ووجدنا أنفسنا في الشارع• نظرت دونيا "ماريا" إلى السماء المرصعة بالنجوم•
-ليلة جميلة••• ستثلج•••
-حقًا، ليلة جميلة•

بينما كان "ديو فيتينتيه" نائما، اضطجعت على السرير، ونظرت من النافذة إلى حلقة الضوء الأبيض الموجودة على حائط الشارع• ضحكت في الظلام كثيرا، وواصلت السعادة•

-هذه هي ساعة العاهرات.

وفي هذه الساعات اليقظة، غمرتني ألفة ندية مثل كأس النبيذ الصغير، جعلني أتآخى مع كل الأشياء في العالم، قلت: هذا هو وقت الفتيات... والشعراء، لكن كم أنا سخيف!... ومع ذلك، سأقبِّل قدميك يا حياة. الحياة، الحياة... كم أنتِ جميلة! الحياة...آآآه! لكن أنتِ لا تعرفين!

أنا الصبي... بائع الكتب... نعم عند دون "جيتانو"... ومع ذلك، أحب كل الأشياء الأكثر جمالاً على الأرض... أريد أن أكون جميلا وعبقريا... ألبس البدلات اللامعة... وأكون صامتًا... الحياة، يا لها من حياة جميلة... يا لجمالك!... يا رب، يا لجمالك!

وجدت السرور في التبسم ببطء. مررت أصبعين على الوخز الموجود بخدي، يمتد صوت آلات تنبيه السيارات هناك بالأسفل في شارع "اسميرالدا"، مثل النداء الأجش للسعادة، ثم أملت رأسي فوق كتفي، وأغلقت عيناي مفكرًا: من الرسام الذي سيرسم صورة بائع الكتب النائم المبتسم في الأحلام؛ لأنه أشغل مكان عمل ربه؟!

ثم ودعت الثمالة الفاحشة ببطء، وحل العبوس دون مناسبة. وكان العيش بهذه الأماكن المكتظة من أحد الأسباب التي تستدعي هذا العبوس. شعرت بالرغبة في الضحك من العبوس الأبوي الذي حل في غير أوانه، كان يحتاج لعمل كوميديا "الإدراك" في الحجرة الصغيرة، لكنه كان منافقًا، وقلت لنفسي: أنت متهم... أنت وغد... وحارق، سيتملكك تأنيب الضمير طوال حياتك، ستستجوب من قبل الشرطة والقضاة والشياطين... لتكن جادًا ومتهما... أنت لا تفهم أهمية أن تكون جادًا...؛ لأنك ستذهب إلى السجن.

لكن عبوسي لم يقنعني. كان يرن أكثر من ثمالة العلبة الفارغة. لا، لن يؤخذ هذا الخداع على محمل الجد. أنا الآن رجل حر، ما

الذي يحتم ارتباط المجتمع بالحرية؟! أنا الآن حر، أستطيع فعل ما يحلو لي••• أقتل نفسي إذا أردت••• لكن هذا أمر ساخر، وأنا••• أنا أحتاج لفعل شيء جميل حقًا••• جميل حقًا••• أعشق الحياة• و كررت: نعم، الحياة••• أنتِ جميلة، الحياة••• هل تعرفين؟! من الآن فصاعدًا سأعشق كل الأشياء الجميلة على الأرض•••سأعشق كل شيء موجود•••• ألم أكن شخصا ذكيًا؟! هل عرفتِ أحدًا مثلي؟!
ثم نمت•

كان دون "جيتانو" هو أول من دخل المكتبة هذا الصباح وأتبعته• كان كل شيء كما تركناه• كان الجو منديًا من العفن، تسربت بقعة من الشمس من كوة السقف هناك على الأرض على كعب كتاب• توجهت للمطبخ• كانت الجذوة قد انطفأت ، وكانت رطبة من الماء، صنع بها "ديو فيتينتيه" عجينا، عند غسيله للأطباق، كان ذلك هو اليوم الأخير الذي عملت فيه هناك•

obeikandl.com

obeikandl.com

## ❞الفصل الثالث❝
## اللعبة المجنونة

بعدما غسلت الأطباق وأغلقت الأبواب وفتحت درف الشبابيك، اضطجعت على السرير؛ لأن الجو كان باردًا• كانت والدتي تخيط بالغرفة الأخرى، وأختي تعد دروسها• تهيأت للقراءة• كان لدي بعض الأعمال الأدبية فوق الكرسي الموجود بجانب ظهر السرير وهي: "العذراء ووالدة لويس ديه بال"، و"الهندسة الكهربائية للخليج"، و"المسيخ الدجال" للكاتب "ويليام نيتزتشيه"، و"العذراء والأم"، وأربع مجلدات بألف وثمانمائة صفحة، قد استعرتهم من جارتي المكوجية، تفحصت بفتور كتاب "العذراء والأم" وأنا مستلقٍ بالفعل• من الواضح أنني اليوم لست مستعدًا لقراءة القصة الطويلة القاسية، وعندئذ قررت أن أمسك كتاب "الهندسة الكهربائية"، وبدأت أدرس نظرية "تناوب المجال المغناطيسي"، قرأت ببطء وسرور• فكرت بداخلي في الشرح المعقد المتعلق بتعدد التيارات: هي بادرة لذكاء عالمي يمكن أن ينعم بجمال مختلف•

وكانت أسماء الأجهزة الإلكترونية "فيرانتى" و"سيمنز هالسك" ترن بأذني بتناغم• فكرت: في يوم ما يمكنني إلقاء كلمة أمام مؤتمر من المهندسين أيضًا: نعم يا أساتذة••• التيارات المغناطيسية التي تولدها

الشمس يمكن أن تستخدم وتكثف• كم أنا جاهل! الأول تكثف ثم تستخدم••• اللعنة، كيف يستطيعون تكثيف التيارات الكهرومغناطيسية للشمس؟!

عرفت من الأخبار العالمية التي تظهر بمختلف الجرائد أن "تسلا" (المعالج الكهربائي) قد صمم مكثِّفا للشعاع• هكذا حلمت حتي المساء، عندما سمعت في الغرفة المجاورة صوت السنيورة "ريبيكا نيدات" صديقة والدتي: أهلاً، كيف حالك يا "فروا درودمان"؟ كيف حالك يا ابنتي؟

رفعت رأسي عن الكتاب لأسمع•

تنتمي السنيورة "ريبيكا" للديانة اليهودية، روحها ماكرة؛ لأن جسدها صغير• تمشي كالبقرة، وتمعن النظر كالنسر••• أكرهها لبعض الأفعال السيئة التي فعلتها بي•

-أين "سيلبيو"؟! يجب أن أتحدث معه•

وفي لحظة كنت في الغرفة الأخري•

-أنت تعرف الميكانيكا؟!

-بالتأكيد، أعرف شيئًا عنها• ألم تعلمي يا أمي بخطاب المهندس "ريكالدوني"؟!

-بالفعل قد هنأني "ريكالدوني" على بعض التراكيب الميكانيكية التي صممتها في أوقات فراغي• قالت السنيورة "ريبيكا": نعم بالفعل رأيتها• وأعطتني جريدة، وأشارت لي بإصبعها ذو الظفر المتسخ على تنبيه في أحد صفحاتها، معلقة: قال لي زوجي تعالي إلى هنا، وأخبرك به• اقرأ•

وضعت قبضة يدها على وركها، واتجهت نحوي، كانت تلبس قبعة سوداء بريشها القصير المعلق بحزن• فحصت حدقتاها السوداوان وجهي بسخرية، ولدقائق أبعدت قبضة يدها عن وركها وحكت بأصابعها أنفها الملتوية، وقرأت: "مطلوب تلاميذ لتعلم ميكانيكا الطيران• يرجى التوجه إلى المدرسة العسكرية للطيران" بالومارديه كاسيروس•

-نعم، خد القطار إلى مدينة "لاباترال"، وقل للحارس أنك ستنزل في



obeikandl.com

"لاباترال"، اركب العربة رقم٨٨ ، ستنزل عند الباب.
قالت أمي مبتسمة ومليئة بالأمل: حقًا، ارحل اليوم يا "سيلبيو"، هذا أفضل. ارتدي رابطة العنق الزرقاء، هي مكوية بالفعل، وقد خيطت بطانتها.

بقفزة واحدة وقفت في حجرتي. بينما كنت ألبس، سمعت اليهودية تحكي بصوت مؤسف عن مشاجرة مع زوجها.
-ما هذا الشيء يا "فروا درودمان"! يأتي سكران، سكران جدًا. لم يتواجد "ماكسيميتو"، قد ذهب ل"كيلكمس"؛ ليرى لوحة فنية. كنت في المطبخ، خرجت ، وقال لي مظهرًا قبضة يده هكذا:
"الأكل بسرعة... وابنك الوغد لم يأتي للعمل؟! يا لهذه الحياة يا "فروا"! يا لهذه الحياة! ذهبت للمطبخ وأشغلت الغاز بسرعة. فكرت أنه إذا جاء "ماكسيميتو"، ستحدث مشاجرة، وارتعشت، "فروا"، يا ربي! و بسرعة أحضرت المقلاة بالكبدة والبيض المقلي بالزبد؛ لأنه لا يحب الزيت. رأيته يا "فروا" يفتح عينيه الكبيرتين ويحك أنفه وقال لي: كلبة، هذا الطعام فاسد. كان البيض باردًا قليلاً. ياه لهذه الحياة يا "فروا"! يا لهذه الحياة!

امتلأ كل السرير بالبيض والزبد. ركضت إلى الباب، ونهض وجر الأطباق وألقاها على الأرض. يا لهذه الحياة! حتى سلطانية الشوربة الجميلة، هل تتذكرينها يا "فروا"؟! حتى سلطانية الشوربة الجميلة انكسرت. تملكني الخوف، وأتى وضربني بلكمات هائلة بصدري حيث كنت... كان شيئًا فظيعًا! وصرخ في وجهي بأشياء لا يمكن... يا "فروا"... صرخ في وجهي: يا حقيرة، أريد أن أغسل يدى بدمك!

سمعت السنيورة "نيدات" وهي تتنهد بقوة. سلتني حوادث المرأة. بينما كنت أربط رابطة العنق، تخيلت مبتسمًا الزوج قوي البنيان، وهو بولندي أشيب، بأنف مثل الببغاء وهو يصرخ وراء السنيورة "ربيكا". كان السنيور "خواسياس نيدات" عبري، وأكثر كرمًا من قائد الجيش

الروسي في عهد ملك "بولونيا سوبيسكاي" في القرن السابع عشر. هو رجل غريب يكره اليهود حتى الحنق. يبدو معادٍ للسامية، كان كرهه شاملا. خدعه أصدقاؤه، لكنه لم يُرد أن يقتنع بذلك. دائمًا من أجل يأس السيدة "ريبيكا" يمكن أن يوجد بمنزله مهاجرون ألمان بُدن وأفاقين بمظهر حقير، كانوا يلتفون حول المائدة المليئة بالسحق والمخلل، يضحكون بقهقهات مرتفعة محركين أعينهم الزرقاء المتبلدة. كان يحميهم اليهودي حتى يجدوا وظيفة، ويستعان بعلاقاته كنقاش وبنَّاء حر. بعضهم سرقوه: كان يوجد صعلوك اختفي من النهار لليل في منزل تحت الصيانة، وحمل معه السلالم واللوحات والرسومات. عندما علم السيد "نايدات" أن الشجاع الذي يقع تحت حمايته اختفي بشكل أو بأخر، أطلق صرخة للسماء، لكنه لم يفعل شيئًا.

كانت زوجته مثالا لليهودية البخيلة الفاجرة. أتذكر عندما كانت أختي صغيرة جدًا، كانت في زيارة لمنزلها. أعجبت بسذاجة بشجرة خوخ جميلة مليئة بالفاكهة الناضجة، ومن البدهي اشتهت الفاكهة وطلبتها بكلمات خجولة. عندئذٍ أجابتها السيدة "ريبيكا": ابنتي... إذا رغبتِ في أكل الخوخ، يمكنك الذهاب إلى السوق، وتشترين ما تريدين.
-تفضلي الشاي يا سنيورة "نايدات".
استمرت اليهودية تحكي بأسف: ثم صرخ بوجهي، وسمع كل الجيران يا "فروا"، صرخ بوجهي: "يا ابنة الجزار اليهودية، أنتِ يهودية قذرة تحمي ابنها."

إنه ليس يهوديًا كما أن "ماكسيميتو" ليس ابنه، وفي الواقع، قد تفاهمت السيدة "نايدات" والطير الجارح "ماكسيميتو" بطريقة مدهشة على أن يغشا البنَّاء الحر ويسرقا ماله ويصرفاه على التفاهات، عرف السنيور "نايدات" بهذا الشراكة في الجريمة، ولم يفعل سوى أن ذكَّرها فقط بما يضايقه. كان "ماكسيميتو" مصدر الخلافات الكثيرة، إنسان تافه، يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا، يخجل من كونه يهوديا يعمل كرسام، كان يرتدي مثل السادة ويرتدي نظارة، وفي الليل قبل نومه

يدهن يديه بالجلسرين• عرفت بعضا من حركاته الشيقة• في إحدى المرات جنى بعض المال من السرقة، كان لابد أن يدفعه صاحب فندق لأبيه• كان عنده عشرين عامًا آنذاك، أحس بموهبته الموسيقية ؛ فاستثمر المال في شراء قيثارة ذهبية رائعة• برر "ماكسيميتو"ذلك بأنه حصل على النقود في اليانصيب، ولم يقل السنيور "نايدات" شيئًا، لكنه نظر شزرًا بعدم ثقة إلى القيثارة، وارتعش المذنبان بنفس الطريقة التي ارتعش بها آدم و حواء في الجنة، عندما نظر إليهما الله•

مرت الأيام، وعندما كان "ماكسيميتو" يعزف على القيثارة، تفرح اليهودية العجوز• هذه الأشياء عادة ما كانت تحدث• قالت السيدة "ريبيكا" لأصدقائها أن "ماكسيميتو" له شأن عظيم كعازف قيثارة، وبعدما أعجب الناس بالقيثارة وهي في أحد أركان الغرفة، وافقوها الرأي• وعلى الرغم من كرم السنيور"خوسياس"، كان رجلاً حكيمًا، وفي بعض الأوقات أدرك سبب خدعة صاحب القيثارة الشهم "ماكسيميتو"• في هذا الموقف، كان السنيور "نايدات" ذو القوة الهائلة يواكب الظروف، وكما أوصى سيدنا "داود": " تحدث قليلاً واعمل كثيرًا في يوم السبت•"، ولكن لأن السنيور "خواسياس" يهتم بصغائر قواعد ألواح موسى، ركل مؤخرة زوجته مرتين، وأمسك "ماكسيميتو" من رقبته، وبعد أن نفض عنه الغبار، أوصله إلى باب الشارع، وألقى القيثارة من شباك حجرة الطعام على رؤوس الجيران الذين كانوا يتسلون دون سترة• هذا الشيء يؤنس الحياة؛ لذلك قال الناس لليهودي: آآآه! السنيور "نايدات" شخص جيد• انتهيت من إصلاح هندامي وخرجت•

-حسنًا، مع السلامة يا "فروا"، تحيات زوجي و"ماكسيميتو"•

قاطعتها أمي قائلة: لم أشكرك بعد؟!

-بالفعل، شكرتيننى من قبل•

نظرت اليهودية بعينيها الصغيرتين الحسودتين إلى شرائح الخبز المدهونة بالزبد، وبكل فتور مدت لي يدها• تتصارع بالفعل بداخلها الأماني لتراني أفشل في كل خطوات حياتي•

وصلت في المساء إلى "بالومار"• عندما سألت رجلا مسنا جالسًا على حقيبة ويدخن تحت الفانوس الأخضر للمحطة أشار إليَّ إشارة ضئيلة منهكة على الطريق في الظلام• أدركت أنه أرشدني للطريق بلا مبالاة، ولم أرد مضايقته، مع علمي بالطريق قبل أن أسأله، فشكرته، وباشرت الطريق• عندئذ صرخ المسن قائلاً: قل لي يا بني، أليس معك عشرة سنتات؟!

فكرت في مساعدته، ولكنني تراجعت سريعًا قائلا لنفسي أنه إذا كان الله موجودا يمكن أن يساعدني في مقصدي مثلما فعلت مع المسن، ودون تردد، اقتربت لأعطيه المال• عندئذ كان رث الثياب أكثر وضوحًا• ترك الحقيبة، ومد يده المرتعشة في الظلام وأشار: لترى يا بني، سر يمينًا فيمينًا ثم شمالاً، ستجد هناك نادي الضباط•
مشيت•

هزت الرياح أوراق شجر "الأوكاليبتوس" الجافة ، وتقاطعت مع الجذوع• كانت خيوط التلغراف الطويلة تصدر صفيرا بصوت عالٍ• عبرت الطريق الموحل لامسًا أسلاك السياج، وعندما سمحت لي قسوة الطريق السريع، وصلت إلى العمارة التي حددها المسن على اليسار المسماة بالنادي• توقفت مترددًا، هل أدق الجرس؟! لم يكن هناك أمام الباب خلف " درابزين الشاليه" أي شرطي حراسة• صعدت ثلاثة سلالم وبجرأة دخلت إلى ممر ضيق خشبي، وهو المادة المصنوع منها كل العمارة، ووقفت أمام باب حجرة مستطيلة يتوسطها مائدة، حول المائدة ثلاثة ضباط ، أحدهما متكئ على أريكة بجوار الطعام، وأخر ساند مرفقيه على المائدة، والثالث رجله معلقة بالهواء حيث أن ظهر الكرسي مسنود على الحائط، كانوا يتحدثون بفتور وأمامهم خمس زجاجات بألوان مختلفة•
-ماذا تريد ؟!
-أتيت يا سيدي عن طريق الإعلان•
-بالفعل تم شغل كل الوظائف الخالية•

-اعترضت بهدوء تام فقد كنت محبطا: عجبًا، إنه حظ سيىء؛ لأنني شبه مخترع وجد صدفة في بيئته.

-قال نقيب مضجعًا على الأريكة: وماذا اخترعت ؟!... أدخل وأجلس.

-أجبت دون تأثر: مؤشر أوتوماتيكي للنجوم المنطلقة، وماكينة كتابة تطبع الحروف التي تكتب عليها. معي هنا خطاب تهنئة وجهه لي الفيزيائي "ريكامبوليه".

لم يهتم الضباط الأمر، وفجأة، أدركت أن الأمر يعنيهم. أشار لي أحد الضباط متفحصًا مظهري من القدم حتى الرأس: لنرى، اجلس واشرح لنا اختراعاتك الشهيرة. ماذا تسمى؟!

-المؤشر الأوتوماتيكي للنجوم المنطلقة سيدي الضابط. وضعت يدي على المائدة، ونظرت نظرة بدت لي أنها متفحصة.

مظهر الجباه القوية، والعيون المتفحصة، والوجوه الثلاثة المدبوغة بهيمنة الرجال التي كانت تراقبني ما بين الفضول والسخرية.

وفي هذه اللحظة فكرت قبل أن أتكلم عن أبطال قراءاتي المفضلين ، وشكل "ريكامبوليه" وهو يرتدي القبعة ذات الحافة المطاطية، وضحكته الدنيئة في الفم الملتوي يمر أمام عيني ويدفعني لطلاقة اللسان والموقف البطولي. قلت متحمسا ومتأكدًا بقوة أنني لن أرتكب أخطاءً: السادة الضباط،

أنتم تعرفون أن "السيسلينيوم" يقود التيار الكهربائي، عندما يكون مضيئًا، وفي الظلام يصبح عازلاً. المؤشر لا يتكون به أكثر من خلية واحدة من السيلينيوم المتصلة بمغناطيس كهربائي. بمرور نجمة من شبكة السيلينيوم تكون مُعلَمة بإشارة، حيث أن ضوء النيزك يكثف بعدسة مجوفة موضوعة تحت شروط موصل السيلينيوم.

-حسنًا، وماكينة الكتابة؟!

-النظرية كالتالي: يتحول الصوت في التليفون إلى موجة كهرومغناطيسية. "إذا قسنا بمقياس كلفاني للمماس الكثافة الالكترونية المتولدة من كل حرف صوتي وحرف ساكن، يمكن أن نحسب عدد الأمابير الدائرة

والضرورية لتصنيع لوحة مفاتيح كهرومغناطيسية تتجاوب مع كثافة تيار كل حرف صوتي."

أقتضب حاجب القائد.

-الفكرة ليست سيئة، لكنك لم تضع في اعتبارك صعوبة خلق مغناطيس كهربائي يتجاوب مع التحولات الكهربائية القليلة جدًا، وهذا دون حساب التغيرات في الجرس الصوتي المغناطيسي الزائد. هناك مشكلة أخرى خطيرة جدًا ونادرة،وهى أنه ربما تتوزع التيارات بنفسها في المغناطيسيات الكهربائية المتناظرة، لكن هل معك هنا خطاب "ريكالدونيه"؟

انحنى الضابط فوق الخطاب، ثم أعطاه لضابط أخر، وقال لي: هل رأيت؟ المشاكل التي طرحتها عليك، كذلك أشار إليها "ريكالدونيه". مبدئيًا، فكرتك مهمة جدًا. أعرف "ريكالدونيه"، كان أستاذى وهو عالم.

-حقًا ، إنه قصير جدًا وبدين نوعًا ما.

عرض على الضابط مبتسما: هل تريد أن نقدم لك خمرا؟

-شكرًا يا سيدي. أنا لا أشرب.

-وفي الميكانيكا. هل تعرف شيئًا؟

-بعض الشيء. علم الحركة المجردة، وعلم الديناميكا، والمحركات التي تعمل بالبخار، والانفجار، والمحركات التي تعمل بالبترول الخام؛ بالإضافة إلى أنني درست الكيمياء والمواد المتفجرة، وهو شيء شيق جدًا.

-أيضًا، ماذا تعرف عن المواد المتفجرة؟

أجبت مبتسما: هل تسألني ؟

-حسنًا، لنرى، ما هي المواد شديدة الانفجار؟

أخذ ذلك مظهر الامتحان، وافتخرت أنني عالم ضليع وأجبت: القائد "كونديل" في قاموسه للمواد المتفجرة، قال أن المواد المتفجرة هي الأملاح المعدنية لحامض افتراضي يسمى "فلمينات الهيدروجين"، تكون بسيطة أو معقدة.

-سنرى، سنرى، فلمينات معقدة.

-الموجودة بالنحاس، وهى عبارة عن زجاج أخضر، وتتولد محدثة فوران "فلمينات الزئبق"، هذا الفوران يكون بسيطًا مع الماء والنحاس.

-ما يعرفه الصبي جدير بالذكر. ما عمرك؟
-ستة عشر عامًا.
-ستة عشر عامًا؟!
-هل انتبهت يا قائد؟! هذا الشاب سيكون له مستقبل عظيم. ما رأيك إذا تحدثنا عنه للقائد "ماركيز"؟ ستكون خسارة إذا لم يستطع الالتحاق بالمدرسة.
-بلا شك!
وتوجه الضابط بجسده الذي بدا وكأنه مهندسا: لكن في أي جحيم درست كل هذه الأشياء؟
-بكل الأماكن. عل سبيل المثال: ذهبت في الشارع فرأيت آلة لا أعرفها في ورشة ميكانيكا. توقفت وقلت أدرس الأجزاء المختلفة لما رأيته. هذا يجب أن يعمل هكذا وهذا يجب أن يعمل بالطريقة الفولانية، ثم طبقت استنتاجاتي والتحقت بالعمل وسألت، واعتقد يا سيدي أنني أخطأت في مرات قليلة. بالإضافة أن لدي مكتبة منظمة، وإذا لم أدرس ميكانيكا، أدرس أدب.
قاطع القائد: كيف، أيضًا أدب؟
-نعم يا سيدي، ولدي أفضل الكتاب: "بوديلايرى"، و" دوستوفسكي"، و"باروخا".
وجه القائد لأحد الضباط: أنت، هل هذا فوضوي؟
-لا يا سيدي، أنا لست فوضويًا، لكنني أحب الدراسة والقراءة.
فجأة صمتوا ونظروا إليَّ. نظر الضباط الثلاثة لبعضهم البعض. كانت الرياح بالخارج تصفر. بدا التركيز أكثر على وجهي. نهض القائد وحاكيته.
-انظر يا صديقي الصغير، أهنئك، احضر غدًا. سأحاول الليلة مقابلة القائد "ماركيز"؛ لأنك تستحق. هذا ما يحتاجه الجيش الأرجنتيني، شباب يحبون الدراسة.
-شكرًا سيدي.
-غدًا، إذا أردت أن تراني، سأكون موجودًا بكل سرور. أسألك عن القائد"بوسى".
غادرت بفرحة عارمة.

عبرت حينئذ في الظلام، وقفزت من على الأسلاك الشائكة، وارتعشت من الشجاعة القوية• تيقنت من مستقبلي العظيم، وإثبات نفسي أكثر مما سبق، يمكنني أن أكون مهندسا مثل "إديسون"، وجنرالا مثل "نابليون"، وشاعرا مثل "بوديلايرى"، وشيطانا مثل "روكامبوليه"• فرحت لثنائهم عليَّ كثيرا، ودعست الدماء -من كثرتها- قلبي، واعتقدت أنني بكل هذه السعادة أعبر الطرق للأرض ممثلاً رمز الشباب•

اعتقد أننا اخترنا تلاميذ أعمال ميكانيكا الطائرات• كان صباحًا مظلما• بدا المعسكر من بعيد وعرًا، وعلى امتداد الطريق الأخضر الرمادي، مشينا بصحبة الشاويش بجوار حظائر مختلفة للطائرات، وارتدينا ملابس التمرين في العنبر• كان السماء تمطر، ورغم ذلك ساقنا الأونباشي لعمل التمارين الرياضية مجنبا الأعمال الشاقة• فكرت: ماذا ستقول إذا رأتني الآن؟

مرت بعذوبة مثل الظل على جدار القمر الأبيض• في إحدى الأمسيات البعيدة، رأيت وجه الفتاة المتوسل الساكنة بجوار الحور الأسود• صرخ فيَّ القائد: لنرى، إذا كان المجند سيتحرك•

في وقت الطعام ونحن ملطخين بالطين، اقتربنا من الأواني النتنة• دخن بعض الناس الفسقة تحت تأثير السطل، نتقدم بازدحام للطباخ ونعطيه الأطباق الصفيح، يغرس الرجل مغرفته في بقايا الطعام، وشوكة كبيرة بآنية أخرى، ثم نبتعد لنأكل بشراهة• عندما كنت آكل، تذكرت دون "جيتانو" والمرأة القاسية• على الرغم من أنه لم يمر وقت طويل، شعرت بمسافة بين ماضيَّ المكفهر وحاضري المتذبذب•

فكرت:الآن وكل شيء قد تغير، من أنا بداخل البدلة الواسعة؟! جلست بجوار العنبر منتبهًا للمطر المتساقط على فترات• لم أستطع -والطبق فوق ركبتي- أن أبعد نظري عن قوس الأفق المقسم لقطع، والواضح مثل حافة المعدن ، لونه نحاسي، وبلا رحمة تخترق برودته المنحدرة• كان بعض التلاميذ المجتمعين بالفرقة يضحكون، وآخرون مائلون على الحوض

ليسقوا الخيول ويغسلون أرجلهم. قلت لنفسي: هذه هي الحياة، نشتكي دائمًا مما مضى. كانت الماء تتساقط ببطء شديد. هذه هي الحياة.
تركت الطبق على الأرض لأوسع تخيلاتي بهذا القلق.
-هل سأخرج ذات مرة من وضعي الاجتماعي المتدني، هل سأستطيع التحول في يوم ما لرجل محترم، ولا أكون الصبي الذي يتقدم لأي وظيفة؟!

مر نقيب فاتخذت الوضع العسكري... ثم سقطت في أحد الأركان، وتعمق بداخلي الإحساس بالألم.
في المستقبل، ألن أكون واحدًا من هؤلاء الرجال برقبتهم المتسخة، وقمصانهم القذرة، والبدلة الخمرية اللون، والحذاء الضخم يخفي الكالو والورم الذي ظهر بالأقدام من كثرة المشي، بحثًا في كل مكان عن عمل أقتات منه؟!

ارتعشت روحي، ماذا أفعل؟! ماذا أستطيع أن أفعل لأنتصر؟! لأمتلك المال... مال كثير؟! بالتأكيد لن أجد في الشارع محفظة بها عشرة ألاف جنية، ماذا أفعل إذًا؟! ولا أعرف إذا كنت سأستطيع قتل أحد، إذا كان على الأقل أحد أقاربه غنيًا، أقتله ويعطيني المال. أدركت أنني لن أستسلم أبدًا للحياة القاسية التي يعاني منها أغلب الرجال بصفة عامة.

فجأة، اتضح لي كثيرًا أن هذه الرغبة في التميز سيلازمني من أجل العالم، وقلت لنفسي: لا يهمني عدم امتلاك بدلة أو مال أو أي شيء... وتقريبًا، ودون خجل، اعترفت لنفسي: ما أريده هو أن أكون محل إعجاب من الآخرين، وممدوحًا منهم. ما الذي يهمني لو أصبحت فاسقًا! هذا لا يهمني... لكن هذه الحياة المتوسطة... تُنسي الموت، هذا شيء مروع بالفعل. آآآه، لو أن لاختراعاتي نتائج! ومع ذلك سأموت في يوم ما، وستستمر القطارات في السير، وسيذهب الناس إلى المسرح كالمعتاد، وسأكون ميتًا...حسنًا، ميتًا... ميتًا لكل العالم.
أوقفت شعر ذراعي قشعريرة سرت بجسدي. وأمام الأفق الذي يطوف

بالسحاب، أرهب جسدي التأكد من الموت الأبدي• آآآه لو أستطيع اكتشاف شيء كي لا أموت أبدًا، وأعيش حتى لخمسمائة عام!

ناداني الأونباشي الذي كان يدير التمارين التدريبية

-لحظة، يا أونباشي رقم واحد•

أثناء التمرين سألت الشاويش كي أطلب أذنا من القائد "ماركيز" لأستشيره بخصوص خندق الهاون الذي صممته ليلقي قذائفا تسمح بتدمير عدد كبير من الناس بالشظايا بموادها المتفجرة•

تعمقت في هوايتي • اعتاد القائد "ماركيز" على سماعي، وعندما كنت أشرح له على السبورة، كان ينظر إليَّ من وراء زجاج نظارته بابتسامة فضول وسخرية وحُلم• تركت الطبق في حقيبة الخدمة، وتوجهت سريعًا إلى نادى الضباط• إنه الآن في غرفته• كان يوجد بجوار الحائط سرير بجرس، ورف مليئ بالمجلدات وكتب العلوم العسكرية• كان معلقًا على الحائط سبورة سوداء بدرجها المملوء بقوالب الطباشير المعلق بأحد الزوايا• قال لي القائد: لنرى، لنرى كيف يكون مدفع الهاون هذا• صممه•

أمسكت الطباشير، وصممت رسما تخطيطيا• بدأت: حسنا و•••

-تخيلت مدفعا بهذا الشكل: ستثقب القذيفة ذات القطر السميك من المنتصف، وبدلاً من وضعها في الأنبوب الذي يشكل المدفع، ستدخل في قالب من الحديد مثل أنملة الأصبع وتثبت في الخزنة حيث ينفجر الخرطوش• والهدف من نظامي هو أنه إذا كبَّرنا وزن المدفع، سيتسع قطر ماسورة القذيفة والشحنة المتفجرة التي يمكن حملها•

-فهمت، حسنًا•• لكنك يجب أن تعرف الأتي: طبقًا لقطر ماسورة القذيفة وحجمها ونوع حبات البارود، تُحسب الغلظة والقطر وطول المدفع؛ أي عندما ينفجر البارود، تتقدم القذيفة نتيجة لضغط الغازات في المدفع، بحيث أنه عندما تصل المادة المتفجرة لفوهة المدفع ، ستُظهر طاقتها القصوي•

-في اختراعك يحدث العكس تمامًا• يحدث الانفجار، وتنزلق القذيفة من القالب والغازات بدلا من أن تستمر في الضغط عليها، ستتطاير في الهواء؛

أي أنه إذا كان لابد من استمرار الانفجار خلال ثانية من الزمن، فقد اختزلته للعشر أو لواحد من الألف، وهذا النقيض لقطر كبير بانتظام أقل ومقاومة أكثر، إلا إذا كنت اكتشفت علم قذائف جديد، وهذا شيء صعب نوعًا ما.

انتهى مشيرًا:
-يجب أن تدرس كثيرًا، إذا أردت أن تصبح شيئًا.

فكرت، ودون التجرؤ على أن أقول له:
-كيف أدرس إذا كان يجب أن أتعلم مهنة لأعيش منها؟!

استمر قائلاً:
-ذاكر الرياضيات كثيرًا. ما ينقصك هو القاعدة. اضبط التفكير، وطبقه على دراسة الأشياء الصغيرة العملية، وقتها يمكن أن تنجح مبادراتك.
-هذا رأيك يا قائدي؟
-نعم يا "أستير". أنت تمتلك مواهبا لا تُنكر، لكن ذاكر. أنت تعتقد؛ لأنك تفكر في أنك فعلت كل شيء، والتفكير ليس أكثر من مبدأ.

خرجت من هناك متحمسًا للعرفان بالجميل لهذا الرجل الذي أعرف عنه صرامته وحزنه، ورغم النظام تتملكه الشفقة ليشجعني.

كانت الساعة الثانية بعد الظهر لرابع يوم لدخولي المدرسة العسكرية للطيران. تناولت قرعا مسلوقا بصحبة شخص ذي شعر أحمر يلقب ب"والتر". حدثني بحماس مثير عن المزرعة التي يمتلكها والده الألماني بضواحي مدينة "أثول". قال بفمه الممتلئ بالخبز:
-كل شتاء نذبح ثلاثة خنازير للمنزل ونبيع الآخرين، كذلك عندما يبرد الجو في المساء، أدخل لأقطع قطعة خبز، ثم أذهب لأتجول بالسيارة "الفورد".
ناداني الشاويش: تعالى يا "درود مان"!



obeikandl.com

وقف أمام العنبر، ونظر إليَّ بعبوس غير معهود•

-أمرك يا شاويش!

-ارتدي ملابسك الخاصة، وسلمني الزي الرسمي؛ لأنك فُصلت من المدرسة•

نظرت له بتركيز

-مفصول؟!

-نعم، مفصول•

-مفصول يا شاويش؟!

نظر إليَّ ضابط الصف بشفقة• كان ريفيا وحسن السلوك• حصل على لقب طيار منذ ثلاثة أيام•

-لكنني لم أرتكب خطأ يا شاويش، وأنت تعلم جيدًا!

- بالتأكيد، أعرف، لكن ماذا أفعل؟! الأمر أصدره القائد "ماركيز"•

-القائد "ماركيز"؟! لكن هذا أمر سخيف• القائد "ماركيز" لا يمكن أن يصدر ذلك الأمر••• ألا يوجد خطأ؟!

-هذا ما حدث• قالوا لي بالتفصيل "سيلبيو درودمان أستير"، وهنا لا يوجد "درودمان " غيرك، أعتقد، أليس كذلك؟! إنه أنت، وهذا أمر واضح•

-لكن هذا ظلم يا شاويش!

قطَّب الرجل جبينه ، وبصوت خافت قال لي سرًا: ماذا تريدني أن أفعل لك؟! هذا ليس جيدًا بالتأكيد••• أعتقد أن القائد معه خطاب توصية••• هكذا قالوا لي، لا أعرف إذا كان ذلك حقيقيًا؛ ولأنكم لم توقعوا عقدًا بعد، مؤكد أنهم يستطيعون أن يُخرجوا ويُدخلوا من يريدون• إذا كان هناك عقد موقع، لن توجد مشكلة، لكن لأنك لم توقع، لابد أن تتحمل•

قلت متوسلاً: وأنت يا شاويش، ألا تستطيع فعل شيء؟

وماذا تريدني أن أفعل يا صديقي؟! ماذا تريد أن أفعل، إذا كنت مثلك، وكل شيء أمامك؟!

أشفق الرجل عليَّ• أديت له التحية، وانسحبت والدموع في عينيّ•

-الأمر من القائد "ماركيز"•

-وأنت، ألا تستطيع أن تراه؟!
-لا، القائد ليس موجودا.
-و الكابتن "بوسي"؟!
-الكابتن "بوسي" ليس موجودا.

أضافت شمس الشتاء اللون الأحمر على أوراق أشجار "الأوكاليبتوس" في الطريق. مشيت إلى المحطة. رأيت مدير المدرسة فجأة، كان رجلاً بدينًا، ذو وجه ممتلئ الخدود، أحمر مثل وجه الفلاح. حركت الرياح المعطف من على ظهره. كان يلقي نظرة سريعة على مجموعة أوراق، وحوله مجموعة من التلاميذ. لابد أن أحدًا أخبره بما حدث. رفع المقدم رأسه من على الأوراق بحثًا عني، وجدني وحدثني بصوت غليظ: انظر يا صديقي. حدثني القائد "ماركيز" عنك، مكانك في المدرسة الصناعية. هنا لا نحتاج لأشخاص أذكياء، لكن لأقوياء ليعملوا.

أسير الآن بشوارع مدينة "بوينوس أيرس" بهذه الصيحات التي تتوغل في روحي.

عندما تعرف والدتي بالأمر بمحض الصدفة، أتخيلها تقول بلهجة متعبة: سيلبيو... أنت لا تشفق علينا... أنت لا تعمل... إنك لا تريد أن تفعل شيئًا. انظر إلى الحذاء الذي ألبسه، انظر إلى ملابس "ليلا" كلها مرقعة. بماذا تفكر إذا لم تعمل؟!

ارتفعت حرارتي، وشممت رائحة العرق تفوح من جسدي. تملكني الإحساس بأن وجهي موجوع ومشوه من الألم العميق جدًا. كل شيء يثير البكاء.

تجولت هائمًا على وجهي بعشوائية، خدَّرت حدة الغضب أعصابي لدقائق، أردت أن أصرخ وأصارع باللكمات بشدة المدينة الصماء... فجأة، كل شيء تحطم بداخلي، صرخ كل شيء ليعلن عن عدم نفعي

المطلق•

-ما الشيء الذي سيعنيني؟

في هذه اللحظة أثقل جسدي روحي مثل البدلة المبللة المتسعة كثيرًا•

-ماذا سيكون لي؟ !

الآن، عندما أذهب إلى البيت، من المحتمل أن أمي لن تقول لي شيئًا• ستفتح الدولاب بإيماءة حزن، وتخرج المرتبة، وتفرش الأغطية النظيفة على السرير، ولن تقل شيئًا• ستنظر إليَّ "ليلا" بصمت كأنها تلومني:

-ماذا فعلت يا "سيلبيو"؟!

ولن أشير بأي شيء•

-ماذا سيكون لي؟ !

آآآه، من الضروري أن يعرف الإنسان الشقاء في هذه الحياة القذرة• نأكل الكبد الذي يُطلب للقطط بمحل الجزارة، ننام مبكرًا؛ حتى لا نتكلف ثمن جاز المصباح• داهمني وجه أمي كثير التجاعيد من ألمها العميق• فكرت في أختي التي لا تشتكي أبدًا من الكرب فهي مذعنة للمصير المر، وشاحبة من المذاكرة• سقطت روحي في يدي•

شعرت برغبة في الاندفاع لأوقف المارة، وأمسك السائرين في الشارع من أكمام سترتهم، وقول لهم: لقد طردوني من الجيش لأنه كذلك• هل تفهمون؟! أعتقد أنني أستطيع العمل••• العمل بالمحركات وتكوين الطائرات••• وطردوني هكذا••• لأنه كذلك•

قلت: "ليلا"، آآآه، أنتم لا تعرفونها، إنها أختي، اعتقدت أننا بإمكاننا كتابة سيرتنا الذاتية، وبدلاً من أن نأكل كبد، نأكل شوربة بالخضروات، نخرج في أيام الأحد أصحبها إلى مدينة "باليرمو"••• لكن الآن••• أليس هذا ظلمًا؟! قولوا••• أليس هذا ظلمًا؟! لست طفلاً• لديَّ ستة عشر عامًا، لماذا طردوني؟! سأعمل على قدم المساواة في أية مهنة والآن••• ماذا ستقول أمي؟! ماذا ستقول "ليلا"؟! آآآه، إذا لو تعرفونها! إنها جادة، تنجح في المدرسة بأعلى الدرجات• تفضل هي وأمي الاكل في المنزل مما

أربحه• والآن ماذا أفعل؟!•••

حل الليل، وفي شارع "لبايله" بالقرب من المحكمة، وقفت أمام إعلان:

(غرفة مفروشة للإيجار مقابل بيزو واحدًا)

دخلت الدهليز المضاء بالمصباح الكهربائيي الخافت، دفعت للبواب تكلفة الغرفة، كان المالك رجلا بدينا يرتدي قميصًا بنصف كم على الرغم من البرد• أوصلني إلي فناء مليئ بالمزهريات الخضراء، وأشار إلى الخادم وناداه: فيليكس، هذه غرفة رقم٢٤•

نظرت لأعلى• كان الفناء هو قاع البرج المستدير• واجهته تشكل حوائط حجرات الطوابق الخمسة ذات النوافذ المغطاة بالستائر• من خلال زجاج النوافذ، ترى الجدران المضيئة والمظلمة• لا أعلم من أين يصدر صوت النساء، والضحكات المكبوتة، والضجيج الصاخب• صعدنا من خلال سلم حلزوني، كان الخادم الخسيس الذي يرتدي مريلة زرقاء غاضبًا من حبوب الجدري التي طفحت على جلده، تقدمني ساحبًا المكنسة بشعرها المنحول من كنس الأرض• في النهاية، وصلنا إلى الممر الذي يشبه الدهليز والمضاء بضوء خافت• فتح الخادم الباب، وأشعل النور، قلت له: غدًا أيقظني في الساعة الخامسة• لا تنسَ•

-حسنًا، إلى اللقاء حتى صباح غد•

سقطت على السرير منهكًا من الألم وكثرة التفكير، كانت الحجرة عبارة عن سريرين من الحديد مغطيين بلحافين زرقاوين بشراشيب بيضاء، وحمام حديدي مدهون، ومائدة صغيرة من خشب الماهون، في أحد الأركان، كان زجاج الدولاب يعكس الباب الخشبيّ، تطايرت في الهواء رائحة حادة محبوسة بين الجدران الأربعة البيضاء، أدرت رأسي إلى الحائط وقد رسم أحد النائمين صورة بذيئة عليه بقلم رصاص • فكرت: يمكنني الذهاب غدًا لأوروبا•

غطيت رأسي بالمخدة منهكًا من التعب ونمت• كان حلما ثقيلا جدًا، لازلت في هلوسة بسببه •

كانت بقع من الزيت تلمع على الطريق المسفلت تحت سماء حمراء، وفي السماء مساحات أخرى زرقاء صافية، ومكعبات أسمنت "بورتلاند" متناثرة دون نظام تعلو بكل الأجزاء، كان بعضها ضئيلاً جدًا في حجم زهرة النرد، والأخر طويل وضخم مثل ناطحات السحاب• فجأة، اقترب من أفق السماء ذراع طويل هزيل جدًا لونه أصفر مثل عصا المكنسة، له أصابع مربعة ملتصقة، تراجعت مذعورًا، لكنه امتد ؛ فتقلصت لأتجنبه، وتعثرت في مكعبات الأسمنت، واختفيت ورائها• أطللت بوجهي مترقبًا من الفتحات الموجودة بين مربعات الأسمنت، والذراع الهزيل مثل عصا المكنسة بالأصابع الدقيقة كحد السيف كان يلمس السماء هنا فوق رأسي، وحل الظلام•

كان الوجه المطل هنا ذو جبهة عريضة وحاجب مشعر وفك، توجد تحت الجفن المجعد عين شخص مجنون؛ فالقرنية ضخمة، والحدقة مستديرة، ومياهها مختلجة، غمز الجفن غمزة حزينة•

-سنيور، تحدث يا سنيور!

-انكمشت مفزوعًا•

-نمتَ مرتديا ملابسك يا سنيور•

نظرت بقسوة إلى المتحدث معي•

-بالتأكيد معك حق•

تراجع الفتى بعض الخطوات•

-مثلما سنسير أصدقاء في نفس الغرفة، سمحت لنفسي أن أوقظك• هل أنت منزعج؟!

-لا، لماذا؟!

وبعد أن دعكت عينيَّ، استجمعت قواي، وجلست على حافة السرير، كنت أنظر إليه، كانت حافة القبعة السوداء تظلل جبهته وعينيه، نظرته كاذبة وبريق لونها المخملي بدا يلمس بشرته، كانت لديه ندبة بجوار شفتيه بالقرب من الذقن، شفتاه منتفختان، لونهما أحمر غامق، كانت تضحك في وجهه الأبيض، والمعطف الثقيل أكثر مما ينبغي يصوغ أجزاء



obeikandl.com

جسده الصغير•

سألته فجأة: كم الساعة؟!

أمسك بسرعة ساعته الذهبية•

-الحادية عشرة إلا ربع•

ترنحت هنا وأنا نعسان• الآن أنظر بفتور إلى حذائي البالي؛ حيث تقطعت خيوط الترقيع موضحة نصف طول القطع• عندما علق المراهق القبعة على الشماعة، ألقى القفازات الجلدية فوق الكرسي• نظرت إليه شزرًا مرة أخرى، لكنني أبعد النظر لأنه رآني وأنا أرقبه، كانت ملابسه أنيقَّة جدًا من رقبته المتأنقة في الثياب حتى الحذاء المصنوع من الجلد اللامع برقبة ذات لون كريمي، والتي أظهرت أن صاحبها ثرى• ورغم أنني لا أعرف لماذا حدث ذلك مني: لابد أن قدميك متسختين•

ضحك ضحكة زائفة، وأدار وجهه، وسقطت خصلة من شعره على خديه موضحة شحمة أذنه• نظر إليَّ من الجانب نظرة محدقة، وقال بصوت رخيم: يبدو أنك متعب، أليس كذلك؟!

-نعم، قليلاً•

خلع المعطف ببطانته الحريرية اللامعة، فاحت من ملابسه السوداء رائحة شحم، وفجأة نظرت إليه مضطربًا دون وعي بما أقول: أليس لديك ملابس متسخة؟!

-خمن أنني أتحدث عن المعطف: هل تسببت لك في ضرر عندما أيقظتك هكذا؟!

-لا، ولماذا ستسبب لي ضررًا؟!

-أعنى أن البعض يمكن للضرر أن يلحقهم• في المدرسة الداخلية كان لديَّ زميل تصيبه نوبة صرع عندما أوقظه فجأة•

-إنها حساسية مفرطة•

-تقول حساسية المرأة، هذا رأيك؟!

-هل صديقك مفرط الحس بهذا الشكل؟! انظر، اعمل معروفًا، وافتح هذا الباب؛ حتى يدخل الهواء قليلا؛ لأنني أختنق • توجد رائحة ملابس متسخة هنا•

قطب الطفيلي حاجبه قليلاً، ثم توجه إلى الباب، قبل أن يصل إليه، وقع ورق مقوى من جيب المعطف على الأرض، مال ليمسكه سريعًا، اقتربت منه ،عندئذ رأيت صور المرأة والرجل بأوضاع مختلفة للجماع• أصبح وجه الغريب أرجوانيً اللون، تلعثم: لا أعرف كيف أصبحت بحوزتي، إنها لأحد أصدقائي•

لم أجبه•

نظرت بإصرار رهيب، وأنا أقف بجواره على صورة، قال: أنا لا أعرف ما هذه الأشياء•

لم أسمعه، نظرت مفتونًا لصورة رهيبة، امرأة راكعة على الأرض أمام حمَّال دنيئ يرتدي قبعة بحافة مطاطية، ويلف حول بطنه شريطا أسودا مطاطيا• أدرت وجهي للفتي، كان حينئذ شاحبًا، وحدقتاه الشرهتان متسعتان كثيرًا، وتلمع دمعة بجفونه السوداء، تهاوت يده على ذراعي•

-أتركني هنا، لا تطردني•

-إذًا••• أنت، أنت•••

سحلني ودفعني على حافة السرير، وجلس عند قدمي•

-نعم أنا كذلك، تصيبني هذه الحالة لفترات قصيرة•

أسند يده على ركبتي•

-تصيبني هذه الحالة لفترات قصيرة•

كان صوت المراهق غامض وحزين، ارتعش ألم خائر بصوته: نعم، أنا كذلك••• تصيبني هذه الحالات لفترات قصيرة•

ثم أمسكت يده يدي، ووضعها بجانبه وفوق حلقه لأشد ذقنه، تحدث بصوت ضعيف مثل الزفير: آه، لو كنت وُلدت امرأة• لماذا تكون الحياة هكذا ؟!

خفقت عروقي في صدغيَّ بشكل رهيب : ما أسمك؟!

-سيلبيو•

-قل لي يا "سيلبيو"، ألا تحتقرني؟!•••، لكن لا،••• إنك لا تخجل••• كم عمرك؟!

أجبته بصوت مبحوح: ستة عشر عامًا•••، لكن أنت ترتعش؟!

-نعم••• أتحب••• سنفعل•••

فجأة رأيته، نعم رأيته••• ابتسمت شفتاه على الوجه المحتقن••• ضحكت عيناه بجنون أيضًا••• وفجأة سقطت ملابسه بصورة طائشة، رأيت تطريز القميص المتسخ ينزل بانسيابية من على الجسد، حيث ترك فقط على العضلات جورب امرأة طويل•

وببطء كما في الحائط الأبيض مثل القمر مر أمام عيني وجه الفتاة الساكنة مبتهلا بجوار الحور الأسود• فكرة سخيفة•
فيما بعد، تذكرت دائمًا هذه اللحظة•
تراجعت عابسًا ونظرت له، وقلت بصوت منخفض: ارحل•
-ماذا؟!
كررت له بصوت لا يزال خافتًا: ارحل•
-لكن•••
-ارحل يا حيوان• ماذا فعلت بحياتك؟!
-لا••• لا تكن هكذا•••
-حيوان، ماذا فعلت بحياتك؟!

وفي هذه اللحظة لم أستطع أن أقول له كل الأشياء العظيمة القيمة النبيلة الموجودة بداخلي، وبطبيعة الحال رفضت إيلامه •
تراجع الفتى، وكشر عن أنيابه، ثم استلقى على السرير، بينما كنت ألبس فوقه، وبدأ يغني:أرز باللبن• أريد الزواج•
نظرت له بشكل غير مباشر، ثم قلت له دون غضب، بالهدوء شملني: إذا لم تصمت سأكسر أنفك!
-ماذا؟!
-نعم، سأكسر أنفك!

عندئذ أدار رأسه تجاه الحائط، أثقل حزن رهيب الهواء المحيط، شعرت بهدوء قطع صمته وتفكيره المريع، رأيت منه فقط نهايات



obeikandl.com

شعره الأسود يجز القفا، ثم الرقبة البيضاء المستديرة التي لا توحي بأي إغراء، لم يتحرك، لكن ظل تفكيره راسخا وزرع بداخلي••• ظللت صارمًا رغم دهشتي، وتساقطت بأعماق حزني الذي بدأ يوطد بداخلي الصبر، وللحظات راقبته بطرف عيني• تحرك غطاء السرير فجأة، وظلت أكتافه عارية، أكتافه البيضاء التي أظهرت ترقوة صدره من الأجزاء المطرزة في قميصه المصنوع من الباتيستا•

انفجرت صرخة استغاثة امرأة في الممر الموجود أمام حجرتي: لا••• لا من فضلك

انكمشت روحي من الذعر الذي أصبت به أولاً، أمعنت التفكير للحظة، ثم قفزت من فوق السرير وفتحت الباب في نفس اللحظة التي أغلق فيها باب الحجرة المواجهة، استندت إلى الحائط، لم يصدر شيء من الحجرة المجاورة• عدت وتركت الباب مفتوحًا، ودون أن أنظر للشخص الآخر، أطفأت النور واستلقيت على السرير• تولد بداخلي حينئذ يقين عظيم وأشعلت سيجارة، وقلت لصديقي في الغرفة: أنت، من علمك هذه الأفعال الدنيئة؟!

-لا أريد أن أتحدث معك••• أنت سيىء•••

-اندفعت ضاحكًا: هل تعلم أنك إنسان غريب؟! ياه لغرابتك! ماذا يقولون عنك في عائلتك؟! وهذا المنزل؟! هل استقريت بهذا المنزل؟!

-أنت سيىء•

-وأنت قديس، أليس كذلك؟!

-لا، لكنني أتعقب مصيري••• لأنني لم أكن كذلك من قبل، أتعرف؟! أنا لم أكن كذلك!

-إذًا ومن جعلك هكذا؟!

-معلمي، لأن والدي كان غنيًا، بحثوا لي عن معلم ليؤهلني للسنة الدراسية الأولى في الإعدادية، بدا رجلا جادا، ذو لحية شقراء، يلبس نظارة، عيناه خضراوان تقريبًا أو زرقاوان، أقص لك كل هذا لأن•••

-و ماذا بعد؟!

-أنا لم أكن كذلك من قبل••• لكنه جعلني هكذا، عندما كان يذهب، اعتدت أن أبحث عنه في منزله، كنت أبلغ حينئذٍ أربعة عشر عامًا• كان يعيش في شقة بشارع "خونكالط"، كان نابغة وبارعًا، لديه مكتبة كبيرة مثل هذه الجدران الأربعة المتجاورة، لكن كيف أحبني؟! كنت أذهب إلى منزله، يوصلني الخادم لغرفة النوم••• انظر، قد اشترى لي كل الملابس المصنوعة من الحرير والستان، وكنت أتنكر في شكل امرأة•

-ما أسمه؟!

-لماذا تريد أن تعرف أسمه؟!••• قضى سنتين في التدريس بالمدرسة الأعدادية، ثم انتحر مشنوقًا ؟!

-مشنوقًا؟!

-نعم، شنق نفسه بحمام أحد المقاهي••• لكن كم أنت أبله! هههههههه•••لا تصدقني••• هذه أكاذيب••• القصة جميلة، أليس كذلك؟!

قلت له غاضبًا: انظر••• أنت••• دعنى هادئًا، سأنام•

-لا تكن سيئًا• اسمعني••• كم أنت متقلب!••• ألم تصدق ما قلته لك مؤخرًا•••هذه هي الحقيقة الكاملة•••بالتأكيد•••كان اسم المعلم "بروسبرو"•

-وأنت مازلت هكذا حتى الآن؟!

-وماذا كنت أفعل؟!

-كيف تقول ماذا أفعل؟! لماذا لا تذهب لأي طبيب متخصص في الأمراض العصبية؟! ولماذا أنت متسخ جدًا؟!

-نعم، هذه هي الموضة، يفضل الكثير الملابس المتسخة•

-أنت منحط•

-نعم، معك حق••• أنا معتوه••• لكن ماذا تريد؟! انظر، أحيانًا أكون بغرفتي ويحل المساء أتريد أن تصدقني، ومثل عصفة الريح أشعر برائحة الموبيليا، وأرى الضوء المشتعل ووقتئذٍ لا أستطيع••• أخرج كأن الرياح تكتسحني و أرى أصحاب الموبيليا•

-أصحاب الموبيليا، لماذا؟!

-طبيعي، هذا ما أذهب لأبحث عنه، إنه أمر مؤسف، نحن نتفق مع

أصحاب الموبيليا، وعندما يقع الدورعلى الفتى -الذي يستحق الألم- لحمل قطعة الموبيليا يخطرنا بالتليفون•

أصبح صوته بعد صمت طويل أكثر حدة وجدية، سيقول أنه يتحدث عن نفسه بكل أسف: لماذا لم أولد امرأة، بدلاً من أكون منحطًا؟!••• نعم منحطًا•••كنت سأصبح ربة منزل، وأتزوج من رجل جميل، وأعتني به••• وأحبه••• بدلاً من هذا••• أدور من سرير لسرير والمضايقات••• هؤلاء الصعاليك بالقبعة البيضاء والحذاء اللامع يعرفونك ويتبعونك••• وحتى الجوارب يسرقونها منك• آه، لو أجد أحدا يحبني للأبد، للأبد!
-لكنك مجنون! دائمًا تحدث لك هذه التخيلات؟!
-ماذا تعرف أنت؟! لديَّ صديق يعيش منذ ثلاثة سنوات مع موظف في البنك العقاري••• ولأنه يحبه••• ماذا تعرف؟!••• لو أستطيع أن أدفع مالي لأكون امرأة••• امرأة صغيرة مسكينة••• ولا يهمني أن أصبح حاملاً وأغسل الملابس للشخص الذي يمكن أن يحبني ويعمل من أجلي•••

استمعت له في ذهول• من يكون هذا الكائن الحي المسكين الذي يتفوه بكلمات مخيفة وجديدة؟! ألم يطلب شيئًا سوى القليل من الحب؟!
نهضت لأداعب وجهه• صرخ: لا تلمسني، لا تلمسني، قلبي يتصدع، ارحل•
جلست حينئذ في السرير دون حركة متخوفًا من أن يوقظه أي صوت لي، ويدفعه للموت•
مر الوقت ببطء وعقلي الذي فقد رشده من الاستغراب والتعب أعاد للمكان الصمت المؤلم لهذا الرجل، لم أزل أعتقد أنني أشعر بصدى كلماته•

تشكل على وجهه الأسمر المنقبض من الألم قسمات الوجه من الكرب، وبفمه الذي جف من الحرارة صاخ في الظلام: لا يهمني أن أصبح حاملاً، وأغسل الملابس للرجل الذي يحبني ويعمل من أجلي•
أصبح حاملاً، كم كانت هذه الكلمة تخرج رقيقة من شفتيه!

أصبح حاملاً•

وقتها، سيتشوه كل جسده التعيس، لكن المتفاخرة بهذا الحب العميق جدًا ستمشي بين الناس، ولن تنظر إليهم، بل سترى وجه ذلك الرجل الذي ستذعن له خاضعة، يااللمعاناة الأنسانية! كم هي كلمات حزينة لا تزال تتوارى بداخل الأنسان!

أيقظني صوت الباب الذي أغلق بشدة، أشعلت المصباح سريعًا، قد اختفي الشاب المراهق ولم يبق بسريره أي أثر للفوضى، كان يوجد على زاوية المائدة ورقتين مفرودتين بقيمة خمسة بيزو، أمسكتهما بطمع، انعكس بالمرآة وجهي الشاحب والقرنية المدممة، وخصلات الشعر الساقطة على الجبين• توسلت امرأة بصوت خافت في الممر: تعجل، من أجل الله•••لوعرفوا•

رن صوت الجرس الكهربائي بوضوح، فتحت النافذة التي تطل على الفناء، أرجفتني عصفة ريح ندية• لازالت الأجواء مظلمة، لكن بالأسفل في الفناء، كان يتحرك خادمان حول الباب المضئ، عندما خرجت للشارع، تبدد تعب أعصابي بالفعل، دخلت لدكان ألبان، وتناولت قهوة• امتلأت كل الموائد ببائعي الجرائد والعربجية•

رنت خمسة أجراس بالساعة المعلقة فوق المشهد الصبياني الريفي، فجأة، تذكرت أن كل هؤلاء الناس لديهم بيوت، ورأيت وجه أختي، وخرجت يائسًا إلى الشارع• تراكمت بروحي مرة أخرى متاعب الحياة والصور التي لا أريد أن أراها ولا أتذكرها، مشيت وأسناني تصر من الطرقات المظلمة وشوارع المحلات المحمية بالستائر المعدنية والموائد الخشبية، يوجد المال خلف هذه الأبواب ، وينام أصحاب هذه المحلات بهدوء في حجرات النوم الفاخرة، وأنا -مثل الكلب- أسير عشوائيًا في المدينة•

أشعلت سيجارة، أهتز من الحقد وألقيت بخبث عود الثقاب المشتعل فوق شخص نائم متكور في رواق معمد• تماوج لهيب النار الطفيف على الخرق البالية، وفجاة انتصب البائس مشوهًا مثل الظلام، شرعت في الركوض، هددني بقبضة يده الضخمة•

اشتريت مسدسًا من منزل بيع وشراء يدعي "منتزه يوليو"، شحنته بخمس رصاصات، ثم صعدت الترام وتوجهت إلى أرصفة الميناء، تسلقت متعجلاً سلالم الباخرة عابرة المحيطات المصنوعة من الأحبال، وتطوعت بأي عمل للضباط الذي يمكن أن أراه خلال الطريق•

عبرت ممرات، ودخلت كابينات ضيقة مكتظة بالحقائب المعلقة بالاسطرلاب على الحائط، تبادلت الحديث مع الرجال الذين يرتدون البدل الرسمية، ويلتفتون فجأة عندما أتحدث معهم، كانوا يفهمون بالكاد طلبي ويتركونني بتجهم، تُرى الماء من ممرات السفينة وهى تلمس انحدار السماء وأشرعة القوارب البعيدة جدًا، مشيت مبهورًا ومذهولاً من الحركة المستمرة، وصرير الونش، والصافرات، وأصوات العتالين وهم يفرغون حمولة الشحنات•

جربت إحساس أن أجد نفسي بعيدًا كثيرًا عن منزلي، وتيقنت من أنني لا يمكنني العودة إليه بعد الآن، عندئذ وقفت للتحدث مع قادة السفن الذين سخروا من عروضي، أحيانًا، كانت تطل من المطابخ المدخنة وجوههم التي تعلوها التعبيرات شديدة الهمجية، فابتعدت خائفًا دون أن أتلقى الإجابة، سرت بجوار أسوار الباخرة وعيوني مثبتة على المياه القوية المليئة بالشحم، والتي كانت تلمس الصخور محدثة صوتا أجش• كنت متعبًا• رؤية المداخن الضخمة المائلة وانتشار الجنازير التي تحدث ضجيجا من الحركة، وعزلة الساريات الرشيقة والانتباه المنطبع على الوجه الذي يطل من النافذة، والحمولة المعلقة فوق رأسي، كانت هذه الحركة الصاخبة الناتجة من تشابك كل هذه الأصوات، والصافرات، والأصطدام البسيط مقابل الحياة التي لم أحصل منها على أي أمل•

حركت الاهتزازات المعدنية هواء الشاطئ، مررت من الشوارع المظلمة المكونة من الجدران الشاهقة للعنابر في ضوء الشمس الساطع، تحركت رايات الباخرات المستطيلة متعددة الألوان في الهواء، كان عمال جلفطة السفن يطرقون باستمرار بالأسفل بين الجار الأسود ومقدمة السفينة الحمراء، هذا العرض العظيم للقوة، والثراء، والبضائع المرصوصة، والدواب التي ترفس في الهواء بأرجلها؛ أصابني بالضيق والكرب•
توصلت لاستنتاج حتمي•
-لا فائدة يجب أن أنتحر••• أدركت ذلك بغموض•

في بعض المناسبات، كانت تعزيني المشاركات بالصراخ الذي يصاحب تابوت الشخص المنتحر لإجلالها، كنت أحسد الجثث التي تصرخ حولها السيدات الجميلات، وعندما أراهم يملن على حافة القبور، كانت رجولتي تتألم• عندئذٍ، أردت أن أصنع السرير الفخم للأموات وأكون مثلهم مزينًا بالزهور وضوء شمعات الكنائس المتلألأ، وأجني بعيني ووجهي دموع الفتيات المتشحة بلبس الحداد•

لم تكن هذه أول مرة أفكر في ذلك، لكن في هذه اللحظة ملأني اليقين•
-لا يجب أن أموت••• لكن لابد أن أنتحر• وقبل استجابتي لهذا التفكير، استولى على إرادتي شذوذ هذه الفكرة السخيفة•
-لا يجب أن أموت، لا••• لا••• لا أستطيع أن أموت، لكن يجب أن أنتحر•
من أين جاء هذا اليقين غير المنطقي والذي أدار كل أحداث حياتي؟!
وراق عقلي من الأحاسيس الثانوية، كنت ـفقط ـ عبارة عن نبض قلب وعين لامعة ومفتوحة من الهدوء الداخلي الخالص•
-لا يجب أن أموت، لكن لابد أن أنتحر•

اقتربت من شونة زنك، كانت مجموعة من العمال تفرغ شحنة الحقائب من العربة قريبًا، وفي هذا المكان، فُرشت الأرض بسجادة من الذرة•

-هنا يجب أن يكون.
وعندما أخرجت المسدس من الحقيبة، فجاة فكرت: ليس في الصدغ؛ لأن وجهي سيتشوه، لكن في القلب، وبيقين لا يعرف الخوف تتبعت تحركات يدي سائلا نفسي:أين القلب؟!
دلتني الضربات الداخلية الحزينة على مكانه.
فحصت خزنة السلاح، شحنت خمس رصاصات، وأسندت ماسورة السلاح على الشوال.
إغماء بسيط جعلني أترنح فوق ركبتي، واستندت إلى حائط الشونة.
وقفت عيني على طريق الذرة الصفراء، ضغطت على الزناد وفكرت ببطء: لا يجب أن أموت
وسقط الزناد، لكن في هذه الفترة الوجيزة جدًا التي فصلت زناد الخرطوش، شعرت أن روحي انبسطت في مكان مظلم.

عندما استيقظت على سرير حجرتي، كان شعاع من الشمس يصمم هالات من الضوء خلف الزخارف التي كانت لا تظهر في الغرفة من وراء الزجاج. جلست والدتي عند حافة السرير، مالت رأسها نحوي، كانت جفونها مبللة، وبدا وجهها بخديها الهزيلين محفورا بتجعيد عميق من العذاب، ارتعش صوتها: لماذا فعلت هذا؟!... آه، لماذا لم تقل لي كل شيء؟! لماذا فعلت هذا يا "سيلبيو"؟!
نظرت إليها، اقتطب وجهها بقسمات حزينة للشفقة والتأنيب.
-لماذا لم تأتِ؟! لم أنوي قول شيء لك، إذاً هذا هو القدر يا "سيلبيو"، ماذا كان سيحدث إذا أطلق المسدس العيار؟! أنت الآن هنا بوجهك المسكين البارد... آه، سيلبيو، سيلبيو!

سقطت ببطء دمعة من هالة عينها الحمراء، شعرت بالظلام داخل روحي، وأسندت وجهي على صدرها، في الوقت الذي اعتقدت فيه أنني سأستيقظ بقسم الشرطة، لأميز في ضباب الذكرى الكثيف، حلقة رجال الشرطة بزيهم الرسمي الذين كانوا يحركون أيديهم حولي.

## ▪الفصل الرابع▪
## يهوذا الأسخريوطى[٨]

كان "مونتي" رجلاً بسيطًا ونبيلاً، سريع الانفعال مثل المبارز، هزيل مثل الرجل ذو الأصل الكريم، نظرته الثاقبة لا تُكَذِّب الابتسامة الساخرة لشفتيه الرقيقتين المظللتين بالشعر الحريري للشارب الأسود• عندما كان يغضب، تحمر وجنتاه وترتعش شفتاه لتصل لذقنه العميقة•

دكانه كان عبارة عن ثلاث حجرات ـ مكتب و مخزن أوراق ـ استأجرهم من يهودي يتاجر في الفراء، ومنفصلة عن غرفة اليهودي القذرة التي تقع خلف الدكان بممر ممتلئ بالصبية القذرين ذوي الشعر الأحمر، كانت الحجرة الأولى عبارة عن مكتب ومعرض الأوراق الجيدة، تطل نوافذها على شارع "ريبادابيا"•

عندما يسير المارة، يرون من الواجهة الزجاجية لخزانة الكتب المصنوعة من شجر الصنوبر رزم الورق الوردي، والأخضر، والأزرق والأحمر، ولفائف الورق المقوى المجذع الصلب، وكتل من المناديل الورقية، وورق الزبدة، ومكعبات البطاقات المزخرفة بألوان عديدة للزهور، ورزم الورق ذات السطح الخشن المزين بالزهور، وطبعات المزهريات الشاحبة مرصوصة بانتظام، يوجد على الحائط الأزرق صورة خليج "نابوليس" تضئ الطلاء الأزرق للبحر الساكن على الساحل ذي اللون البني المحمر والمظلل بالمربعات البيضاء الصغيرة (المنازل)• هنا، عندما يكون

٨-يهوذا الإسخريوطى: هو واحد من تلاميذ المسيح الإثنى عشر، ويسمى أيضا بيهوذا سمعان الإسخريوطي. بحسب الأناجيل القانونية، فإن يهوذا الإسخريوطي هو التلميذ الذي خان يسوع وسلمه لليهود مقابل ثلاثين قطعة فضة وبعد ذلك ندم على فعلته ورد المال لليهود وذهب وقتل نفسه، وبعد قيامة يسوع من الموت اختار الرسل متياس بديلا عن يهوذا ليكون من جملة الاثنى عشر.

"مونتى" معتدل المزاج، يغني بصوت صاف ومنغم، كنت أسعد لسماعه، كان يغني بإحساس، ويُفهم من غنائه أنه يستحضر الأماكن ولحظات الحلم التي حدثت في وطنه•

عندما استقبلني كمندوب مبيعات بعمولة، سلمني مجموعة عينات من الورق المصنف حسب نوعه وسعره، وقال: حسنًا، الآن إلى البيع• على كل كيلو من الورق عمولة ثلاثة سنتات•
بداية جميلة!

أتذكر أنه خلال الأسبوع الأول، كنت أسير ست ساعات في اليوم بلا جدوى، كان ذلك أمرًا لا يصدق، لم أبِع كيلو من الورق على مسافة خمسة وأربعين فرسخًا•

دخلت يائسًا لدكاكين الخضروات والمحلات والمخازن، تجولت في الأسواق، وانتظرت الدور لمقابلة الصيادلة والجزارين، لكن بلا فائدة، بعضهم يبعثونني بكل لطف إلى الجحيم، وآخرون يقولون لي مر الأسبوع القادم، وآخرون يجادلون: "عندي مندوب آخر يساعدني منذ زمن"، وآخرون لا يلتفتون إليَّ• البعض يقول أن بضاعتي باهظة الثمن، وآخرون يقولون أنها رديئة للغاية، والبعض القليلون يقولون أنها رقيقة جدًا•

وصلت في منتصف النهار لمكتب "مونتي"، سقطت على رزم الورق• ظللت صامتًا ومشوشًا من التعب والإرهاق، كان "ماريو" المندوب الأخر يسخر من مجهودي العقيم•
-هذا "الماريو" كان وغدًا!

بدا مثل عمود التلغراف المنتهي برأس صغيرة مغطاة بغابة هائلة من الشعر المجعد• كان يسير بخطوات سريعة حاملاً تحت ذراعه حقيبة من الجلد الأحمر، عندما وصل إلى المكتب،ألقى الحقيبة بأحد الأركان،

وخلع القبعة المستديرة الممتلئة بشحم كثير يكفي لدهان إطار أية عربة• كان يبيع كثيرًا، ودائمًا يكون مسرورًا• قرأ بصوتٍ عالٍ وهو يتصفح القائمة الطويلة للطلبات المسجلة بدفتر متسخ، ضحك حتى ظهر قاع حنجرته الأحمر وصفا الأسنان البارزة، يوارى ألمًا في معدته سببته الفرحة، أمسكها بيديه الاثنين•

كان "مونتي" ينظر إلينا من فوق خزانة أدوات الكتابة مبتسما بسخرية، وضع وجهه الضخم بين راحتي يديه، ودعك عينه وكأنه يزيل الهموم، ثم قال لنا: لا يجب أن تفقد الحماس ياشيطان، أتريد أن تصبح مخترعًا ولا تعرف كيف تبيع كيلو من الورق؟!

ثم أشار: لابد أن تكون مثابرا• كل التجارة هكذا• إنهم لا يريدون حتى التعامل مع الفرد أو يكون لهم معه معاملات تجارية بأي عمل، يقولون لك أن عندهم ما يكفيهم• ليس مهما• يجب أن تعود؛ حتى يتعود التاجر على رؤيتك وينتهي إلى أن يشتري منك• كن لطيفًا، لابد أن تكون هكذا دائمًا•

ثم غير موضوع المحادثة مشيرًا: تعالي هذا المساء لتشرب قهوة معي، ونتحدث قليلاً•

بإحدى الليالي في شارع "روخاس" دخلت صيدلية، فحص الصيدلي- هو شخص حاد المزاج وغاضب من حبوب الجدري الموجود بجسده- بضاعتي، ثم تحدث وبدا لي كأنه ملاك لما قاله: أرسل لي خمسة كيلو مشكل من المناديل الورقية، وعشرين كيلو من الورق المستوِي الخاص، واصنع لي عشرين ألفا من الأغلفة، على كل خمسة ألاف هذه الكتابة: حامض البوريك، وأكسيد المغنسيوم المكلس،وزبدة الطرطير، وصابون البَقَّم الأسود• هذا طلبى• لا بد أن يكون الورق هنا يوم الاثنين مبكرًا•

سجلت الطلبية، وأنا أنتفض من الفرح، وعدت الصيدلي الرائع بكل وقار، وضللت بالشوارع• هذه أول بيعة• ربحت من هذه الصفقة خمسة بيزو كعمولة•

دخلت سوق "كابييو"، هذا السوق يذكرني دائمًا بالأسواق الموجودة في روايات الكاتبة الإيطالية "كارولينا أنبرنيتيو"، نادى عليَّ بائع لحم الخنازير ذو الوجه البقري الذي قد ضايقته في مرات سابقة بلا جدوى، وهو يلوح بسكينه فوق كتلة من شحم الخنزير: أنت، أرسل لي كيلوين من قصاص الورق الخاص، لكن غدًا، مبكرًا جدًا -دون أي خطأ- بمبلغ واحد وثلاثين بيزو.

ربحت أربعة بيزو من هذه الصفقة على الرغم من تخفيض واحد سنت في الكيلو. اتسعت روحيي بفرحة عارمة، فرحة "ديونيسيوسية"[٩] لا تصدق وصلت للسماوات السبع... عندئذٍ قارنت نشوتي بنشوة أبطال الكاتب الإيطالي "دى أنونثيو" الذي ينتقدهم صاحب العمل بسبب هيئتهم العظيمة، فكرت: "مونتي" مغرور.
فجأة، شعرت أن أحدا يمسك ذراعي، التفت فجأة، وجدت نفسي أمام "لوسيو". إنه "لوسيو"
المشهور الذي كان عضوًا في "نادى فرسان منتصف الليل". تبادلنا التحية بحرارة، لم أره مرة أخرى بعد هذه الليلة المشئومة، الآن هو أمامي مبتسمًا، وينظر كعادته في كل الاتجاهات.

لاحظت أنه مهندم الثياب، يرتدي حذاءً جميلاً مزينا. تلمع في أصابعه خواتم من الذهب المزيف، وحجرًا شاحبًا في الكرافته.
قد كبر، كان إنسانا حقيرا قويا أنيقًا، اكتمل مظهر هذا الشخص المتظاهر بالشجاعة بقبعة كبيرة من اللبد، تغطي وجهه بشكل ظريف وتصل لحاجبيه، كان يدخن في بيبة من الكهرمان، وكشخص يعرف التعامل مع الأصدقاء، دعانى بعد التحيات الأولى لتناول جرة بيرة في حانة قريبة، جلسنا بالفعل، وارتشف بيرته بجرعة واحدة، قال الصديق "لوسيو" بصوت أجش: وأنت ماذا تعمل؟!
-وأنت؟!... أراك متأنقًا وشخصية.
لوت ابتسامة شفتيه

٩- ديونوسيوس: إله الخمر عن الأقدمين.

-أنا••أنا لقد تزوجت•
-إذا، فالحياة تسير معك جيدًا• لقد أحرزت تقدمًا هائلاً، لكن من مثلي ليس له حظك، فأنا بائع ورق•••
-آه! تبيع ورقًا، بأي منزل؟!
-نعم، بمنزل شخص يدعى "مونتي"، يعيش في "فلورس"•
-وتكسب كثيرًا؟!
-ليس كثيرًا، لكن يكفي لأعيش•
-وهكذا، هل انصلح حالك؟!
-أنا أيضًا أعمل•
-أه، تعمل!
-نعم أعمل• هل تعرف ماذا أعمل؟!
-لا، لا أعلم!
-أنا محقق•
-أنت••• محقق؟! أنت!
-نعم، لماذا؟!
-لا، لا شيء• هكذا أنت محقق؟!
-لماذا تستتغرب؟!
-لا••• ليس هناك سبب••• دائمًا كانت لديك ميول منذ صباك•
-ماكر، لكن انظر، أنت "سيلبيو"، لابد أن ينصلح حالك، هذه هي الحياة، الكفاح من أجل الحياة، مقولة "داروين"•
-لقد أصبحت عالمًا ضليعًا! كيف يصدق هذا؟!
-أنا أفهم، أنت، هذا هو المصطلح الفوضوي، هكذا أنت أيضًا ينصلح حالك، وتعمل وتمشى معك الحياة جيدًا•
-التكيف، كما كان يقول الرجل الباسكي: أبيع الورق•
-إذًا، فقد انصلح حالك؟!
-يبدو ذلك•
-جيد جدًا، طريقة أخرى يا فتى••• أردت أن أقول طريقتين مختلفتين، أعتذر•
-و كيف حال وظيفة المحقق هذه؟!



obeikandl.com

-لا تسألني يا "سيلبيو"، هذه أسرار المهنة، لكن لنتحدث إذًا عن الثيران الفاسقة، هل تتذكر "إنريكي إيرثوبيتا"؟!
-"إنريكي إيرثوبيتا"؟!
-نعم.
-أعرف فقط عن "إيرثوبيتا" ما حدث بعد أن تفرقنا، هل تتذكر؟!
-وكيف لا أتذكر؟!
-بعد أن تفرقنا عرفت أن "جرنوييت" -صاحب الكهف- استطاع أن يطردهم، وأنهم ذهبوا ليعيشوا في مدينة "بيبا ديل باركيه"، لكن لم أعد أرى "إنريكي".
-بالتأكيد، ذهب "إنريكي" ليعمل في وكالة سيارات بمدينة "الأثول".
-هل تعرف الآن أين يوجد؟!
-سيكون في مدينة "الأثول". أتمزح؟!
-لا ، إنه لا يوجد في "الأثول"، إنه في السجن.
-في السجن؟!
-مثلما أنا أوجد هنا، فهو في السجن.
-ماذا فعل؟!
-لا شيء، الكفاح من أجل الحياة . أراد أن يقول الصراع من أجل الحياة؛ فهو مصطلح تعلمته من خباز من المهاجرين الأسبان، والذي كان يروق له تصنيع المواد المتفجرة. أنت، ألا تصنع موادا متفجرة ؟! لا تغضب؛ لأنك كنت مولعًا بقنابل الديناميت.
نظرت له بثبات غاضبًا من أسئلته الماكرة.
-هل تريد أن تدخلني السجن؟!
-لا يا رجل، لماذا؟! ألا يمكنني أن أمزح معك؟!
-لأنه يبدو أنك تحصل مني على معلومات.
-يا للعجب!... يالك من إنسان مضحك! ألم ينصلح حالك بعد؟!
-حسنًا، ماذا كنت تقول عن "إنريكي"؟
-سأحكي لك بطولة مجيدة بيننا، شيء جدير بالذكر.
-لا أتذكر الآن إذا كان في وكالة "شيفورليه أو بويك" حيث كان يعمل "إنريكي" ويثقون به أم لا... حسنًا، كان دائمًا أستاذًا في التملق

بالمجاملات،عمل بالمكتب، لا أعرف كيف، المسألة أنه سرق دفتر الشيكات، و زوره على الفور بخمسة ألاف وتسعمائة• ما هذا الشيء؟!

في الصباح، فكر في الذهاب ليحصل عليهم، أعطاه صاحب الوكالة مائتي ألف بيزو ليودعهم في نفس البنك، هذا المجنون وضع المال في جيبه وذهب للجراج، وأخرج سيارة، وبهدوء مثل أمام البنك، وقدم الشيك، والغريب ظانهم دفعوا له الشيك المزور•

-دفعوا له!

-هذا أمر لا يصدق• ما هذا التزوير؟! حسنًا، فهو دائمًا كان كفءً• هل تتذكر عندما زور شعار "نيكارجوا"؟!

-نعم منذ صباه يقوم بهذا العمل•••لكن أكمل•

-حسنًا، دفعوا له••• الآن ستعرف أن "إنريكي" كان متوترًا! خرج بالسيارة، وعند مفترق الطريق بين اسطبلين للأحصنة في السوق اصطدم بحنتور•••ولحظه كُسر ذراعه، ولو تحرك قليلاً، لاختُرق صدره، أصابه إغماء، حملوه لمستوصف، أتاحت المصادفة أن يعرف صاحب الوكالة بالحادث على الفور، وذهب إلى المستوصف مثل هرولة القط على قطعة الرئة، طلب الرجل من الطبيب ملابس "إنريكي"؛ لأنه لابد أن يكون به مال أو وصل أمانة••• انتبه لمفاجاة الرجل••• بدلاً من أن يستخرج وصل أمانة، وجد ثمانمائة ألف وخمسمائة وثلاثة بيزو، تأثر "إنريكي" بالأمر، وسأله الرجل من أين جاءت هذه الألاف، ولم يعرف بماذا يجيب، ذهبوا إلى البنك، وهناك عرفوا للتو بكل شيء•

-إنه جبار•

-الأمر لا يُصدق، قرأت الخبر في جريدة "سيوداداانو" (المواطن) •

-والآن هو مسجون؟!

-في السجن، مثلما كان يقول، لكن عرف الميعاد الذي قد حكموا عليه فيه• استفاد من أن سنه صغير، وأن عائلته تعرف ضابطًا ذا نفوذ•

-أمر غريب، سيكون مستقبل الصديق "إنريكي" عظيم•

-أمرٌ يُحسد عليه• معهم الحق أن ينادوه بالمزور•

بعد ذلك صمتنا• تذكرت "إنريكي"، بدا لى كأنني كنت معه مره أخرى

في كهف مسرح العرائس، ويعكس شعاع الشمس الضوء على الحائط الأحمر والوجه الهزيل للشاب المراهق المتكبر•
علَّق "لوسيو" بصوت أجش: إنه الكفاح من أجل الحياة• البعض تتحسن أحوالهم، وأخرون يسقطون، هذه هي الحياة••• لكن، أنا ذاهب• يجب أن أتولى الخدمة•••إذا أردت أن تراني هنا••• معك عنواني•
وسلمني كارت•

وجدت نفسي بعيدًا بعد الوداع الصاخب، وبمفردي في الشوارع المضيئة، لا يزال صوته الأجش يرن بأذني: الكفاح من أجل الحياة، البعض تتحسن أحوالهم، وأخرون يسقطون، هذه هي الحياة!

أتوجه الآن إلى التجار برصانة المندوب الخبير، ومتأكد من أن عنائي سيكون غير مجدٍ؛ لأنني بالفعل "قد بعت"،عقدت تأمينًا لوقت قليلل مع بعض العملاء، وهم الباعة المتجولون في المعارض، والصيادلة الذين حدثتهم عن حامض البكريك وبعض التوافه الأخرى، وبائعو الكتب، واثنان أو ثلاثة من عمال المخازن، والناس أصحاب المنفعة القليلة والأكثر دهاءً في الشراء• لكي لا أضيع الوقت؛ قسمت زبائن "كاباييتو" و"فلورس"، و"بيليث"، و"بيبا كرسبو" لأماكن أتجول فيها بنظام مرة في الأسبوع•

تركت السرير مبكرًا جدًا، وبخطوات كبيرة، توجهت للأحياء المحددة• احتفظت من هذه الأيام بذكرى السماء الكبيرة الساطعة فوق أسطح المنازل الصغيرة المدهونة بالجير، والمصانع ذات الجدران الحمراء، والطريق المزخرف بالنافورات المزينة بالخضرة، ونباتات السرَو، والشجر الكثيف حول القباب البيضاء للمدافن على امتداد البصر، ومن شوارع الضاحية المسطحة الفقيرة القذرة المليئة بالشمس، وصناديق القمامة الموجودة على الأبواب، والسيدات ذوات البطون والشعر الأشعث القذرات، وهن يتحدثن على عتبات البيوت أو ينادين على كلابهن ، أو أبنائهن تحت أنحناء السماء الصافية الشفافة؛ احتفظت بذكرى مبهجة رفيعة وجميلة•

تشرب عيني بشغف الصفاء اللانهائي في السماء• تطوق روحي المتقدة للأمل والحلم، يتدفق بداخلي إلهام سعيد جدًا لكونه مشرقًا، لا أستطيع أن أصفه بالكلمات•

تسلب القبة السماوية عقلي أكثر فأكثر، كم كانت الأماكن التي أتاجر فيها حقيرة جدا! أتذكر•••هذه المخازن ومحلات الجزارة بالضاحية•
أضاء شعاع الشمس في الظلام قطع اللحم المعلقة بالخطافات والأحبال بجوار الموائد المصنعة من القصدير، كانت الأرض مليئة بالنشارة، ويتطاير في الهواء رائحة الدهن، وجموع الذباب تتدافع على قطع الدهن الأصفر، والجزار اللامبالي يدق بظهر السكين على شرائح اللحم••• وبالخارج، تكون شمس الصباح هادئة ورائعة وتترك العذوبة المطلقة للربيع تسقط من زرقة السماء•

كان لا يقلقني شيء في الطريق سوى المكان، كان أملسًا مثل البورسلين السماوي على امتداد البصر، وبعمق الخليج في الذروة، أرى البحر المدهش الممتد الهادئ كثيرًا، حيث يخيل لي أنني أرى الجزر الصغيرة، ومواني البحر، والمدن الرخامية المحاطة بالغابات الخضراء؛ والبواخر بالأسوار المزهرة المنزلقة بين تناغم أصوات الصافرات متجهة نحو المدن الثائرة من السعادة • هكذا سرت مرتجفًا من العنف الرائع•

بدا لي أنني أسمع ضجيج حفلة ليلية• في الأعلى، كانت الصواريخ تنثر شلالات النجوم الخضراء، وفي الأسفل، يضحك عباقرة العالم ذوات البطون، تقوم القردة بألعاب الشعوذة، بينما تضحك الألهة وهي تسمع صوت الضفادع البرية، في هذا الضجيج الاحتفالي الذي يتغنى بأذني ، وهذه المشاهد المتحركة أمام عيني تقل المسافة دون أن أنتبه لها•

أدخل الأسواق وأتحدث مع الباعة الجائلين، أبيع وأتجادل مع الزبائن غير الموافقين على بضاعتي المستلمة• اعتادوا على أن يقولوا لي وهم يُخرِجون من تحت الموائد قصاصات ورق يتسطيعون أن يصنعوا منها

زينة سيارات الأفراح ؛ وبقصاصات الورق هذه، ماذا تريد أن تلف ؟!
أجاب؛ أوه، "القصاص" لن يكون كبيرًا مثل القماش. يوجد كل ذلك في مزرعة الكروم التي يمتلكها السنيور.

هذه الأسباب الخادعة لا ترضي البائعين الذين يستشهدون بضيوفهم، ويحلفون أنهم لن يشتروا مني حتى كيلو الورق. عندئذٍ، أتظاهر بالغضب، وأقول بعض كلمات السباب، وبمهارة أدخل خلف المائدة وأبدأ في لف الرزمة وأختار الأفرخ التي يمكن أن تساعد في تكفين رأس الغنم. وهذه ؟! لما لا تظهرون هذه؟! أنتم تعتقدون أنني أختار القصاصات. لماذا لا تشترون قصاصات خاصة؟! هكذا تكون المشادات مع الجزارين وبائعي الأسماك الحضريين. هم أناس وقحون ومتبجحون ومشاكسون.

يسعدني أيضًا في صباح الربيع التجول في الشوارع التي تطوف بها عربات الترام، والتي يكسوها ازدهار التجارة. يروق لي منظر المخازن الكبيرة المظللة من الداخل، ودكاكين بيع الجبن الندية التي تشبه المزارع وأبراج الزبد المصفوفة على الرفوف، والمحلات ذات الواجهات الزجاجية متعددة الألوان، والسيدات الجالسات بجوار الموائد أمام بكر الخيط غير الثابتة، ورائحة الطلاء بدكاكين الحدادين، ورائحة النفط في المخازن. تمتزج كل هذه الأشياء في أحاسيسي مثل الرائحة العطرة لسعادة استثنائية لحفلة عالمية مليئة بالعطور، راويها المستقبلي هو أنا.

في الصباح الجليل لشهر أكتوبر، أشعر أنني قوي ومتسامح مثل الألهة. إذا تعبت، أدخل لدكان ألبان لأتناول وجبة خفيفة. ظل المكان وتماثل الديكور يجعلني أحلم "بقصر الحمراء"، لا يوصف، وأرى بيوت الأندلس البعيدة المليئة بالحدائق والبساتين، أرى كتل التراب المرتفعة للغاية على سفوح الجبال، وبعمق الحفرات أرى الشرائط الفضية لجداول المياة الصغيرة. كان صوت نسائي يصاحب عزف جيتار، فتخيلت مرة أخرى صانع الأحذية الأندلسي المسن وهو يقول؛ خوسيه، نعم كان أكثر تأنقًا من الزهرة. الحب والطيبة والعرفان بالجميل للحياة والكتب والعالم طلى وتر روحي الأزرق. لم أكن أنا القابع بداخلي بل الإله، الإله المخلوق من سلاسل

الجبال والغابات والسماء والذكرى•

عندما كنت أبيع كمية كافية من الورق، أشرع في العودة، ولأن الكيلو مترات تكون طويلة حين أسيرعلى الأقدام، كان يسعدني أن أحلم بالأمور السخيفة، مثلاً أحلم أنني قد ورثت ستين مليون بيزو أو أشياء من هذا القبيل • تتبد أحلامي الباطلة عند الدخول للمكتب ويقول لي "مونتي" غاضبًا: الجزارالموجود بشارع "ريميدويوس" رجع القصاصات•

-لماذا؟!

-وكيف لي أن أعرف ؟!••• قال إنه لا يعجبه•

-ياليت فاجعة سيئة تصيب هذا العم!

الشعور بالفشل الذي لا يوصف، والذي تسببه هذه الرزمة المتسخة المتروكة في الفناء المظلم وهي مربوطة من جديد، ومليئة بالوحل على الطراف، ومبقعة بالدم والشحم لأن الجزار قد لفها بلا رحمة بيديه المتشحمتين• هذا النوع من الإعادات يتكرر دائمًا بكثرة• أخذت حذري من الحوادث السابقة، اعتدت أن أنبه المشتري: انظر، القصاصات هى بواقي الورق المزدوج• إذا أردتها، سأرسلها لك خاصة بثمانية سنتات زيادة على الكيلو، لكنه نفذ كله•

قال الجزار: لا يهم، أرسل القصاصات•

لكن عندما كنت أسلمه الورق، كان يطلب أن أخفض له بعض السنتات في الكيلو، وإذا لم ترجع القطع المقطوعة كثيرًا، سيضيف اثنين أو ثلاثة كيلو مما يضيع المكسب، أو لا يدفع ثمنها ووذلك يعد خسارة لكل شيء• وقعت أحداث مسلية جدًا تنتهي بأن نضحك عليها أنا و"مونتي" بدلاً من أن نبكي من الغيظ• كان لدينا من بين الزبائن، بائح لحم الخنازير يطلب أن نسلمه رزمة الورق في منزله في يوم وساعة محددة، وله هو شخصيًا، وهو الشيء المستحيل• يعيد آخر الورق وهو يسب سائق العربة لو لم يحضر إيصالا بالشروط المطابقة للقانون، وهو ما كان أمرًاغير ضروري، وآخر لا يدفع ثمن الورق إلا بعد أسبوع، حيث يبدأ في استهلاكه• دعنا نتحدث عن البائعين الأتراك بالأسواق الموسمية، إذا طلبت منهم أخبارا عن الخليفة المعتمد، لا يفهمونني أو يجهلون به وهم يقطعون قطعة رئة لقط العرَّابة

الوقحة، ولكي أبيع لهم، يجب أن أضيع الصباح وكل ذلك لإرسال رزمة زهيدة من خمسة وعشرين كيلو عبر مسافات هائلة لشوارع الضواحي النائية ليكسبوا ستة وخمسين سنتا.

عندما يعود سائق العربة "هو رجل صموت وجهه متسخ" في المساء بفرسه المرهق والورق الذي لم يسلمه، يقول وهو يرمي الرزمة على الأرض بضيق: هذا لم يُسلم، لأن الجزار كان في السلخانة، وزوجته قالت أنها لا تعرف شيئًا، ولم ترد أن تستلمه. وهذا الآخر لا يعيش بهذا العنوان؛ لأن مكانه مصنع الأحذية، وبهذا الشارع لم يرشدني أحد للعنوان.

نبدأ في سب هؤلاء الرعاع الذين لا يعرفون الأصول ولا الوعود لأي شخص، في مرات أخرى آخذ أنا و"ماريو" طلبية من نفس الشخص، وعندما نرسلها له يرفضها حيث يقول أنه اشتراها من شخص ثالث باعها بسعر أقل. البعض لا يستحي أن يقول أنه لم يطلب شيئا، وعامة، إذا لم يقولوا ذلك، يختلقوا الأعذار. عندما أعتقد أنني ربحت ستين بيزو في الأسبوع تصبح خمسة وعشرين أو ثلاثين، لكن الرعاع! تجار القطاعي، وأصحاب الدكاكين، والصيادلة! كم كمية الغضب السريع، وما هذه المعلومات والاختبارات السابقة لشراء ألف مظروف معنون بالمغنسيوم أو حامض البوريك؟! لا يطلبون الورق إلا بعد أن أريهم مرارًا ويطلبون عينة من الورق مقدمًا وأصناف الطباعة، وفي النهاية يقولون: سنرى، مر علينا الأسبوع القادم.

فكرت مرات عديدة في إمكانية كتابة التاريخ العرقي والحالة النفسية لتاجر البيع بالقطاعي، والرجل الذي يستخدم قبعة ويجلس خلف المكتب بوجهه الشاحب والعينين ذواتا النظرات الباردة مثل صفائح الفولاذ. آآآه، لماذا لا يكون عرض البضاعة كافيًا؟! لكي أبيع، لابد أن أتشرب الذكاء العطاردي(إله التجارة والفصاحة)، وأنتقى الكلمات، وأراعى الأراء، وأتملق بوقار متحدثًا بما لا يمكن التفكير فيه والاعتقاد به، والحماس لتوافه

الأمور، والموافقة بإشارة حزينة، وأسأل بفاعلية عن الشيء الرديء إذا كان يعنينا، وأكون متعدد الوجوه ومرنا وظريفا• أشكر بظرافة أمرًا تافهًا، لا أسخط عند سماع شيء فظ، أعاني وأعاني بصبر الزمان، والوجوه الفظة الخبيثة، والأجابات الوقحة الغاضبة، أعاني من أجل أن أستطيع كسب بعض السنتات؛ لأن "هذه هي الحياة"•

ليتني في هذه المهنة بمفردي، لكن يجب أن أدرك أكثر أنه بنفس المكان الذي نتحدث فيه عن فائدة بدء التجارة معنا، يمر بائعون كثيرون ويعرضون نفس البضاعة بشروط مختلفة أكثر ربحًا للتاجر• كيف يُفسر أن يُختار آخر من بين الكثيرين لينتفع وينفعه؟! لا يبدو مبالَغًا القول بوجوب تأسيس علاقات بين الفرد والتاجر، علاقات مادية، وروحانية، وعلاقة طائشة، ومتكلفة بالأفكار الاقتصادية، والسياسية، والدينية، وحتى الاجتماعية؛ وأن عملية البيع حتى لو كانت على دستة أبر، تشملها أهمية خاصة، وترتبط فيما بينها بصعوبات أكثر من حل التسمية الثنائية ل"نيوتن"، لكن، آه لو أكون بمفردي!

يجب أن تتعلم أن تتمالك نفسك، لتتحمل كل إهانات سكان القرى الصغار• عامة، يكون التجار حمقى، ماكرين، أصحاب نسب وضيع، قد اغتنوا من كثرة التضحيات المؤلمة والسرقات التي لا يمكن أن يعاقب عليها القانون، والغش في المواد الغذائية التي لا يعرفها أحد أو يبيحها الجميع•

عادة الكذب تتأصل في التاجر الوغد المعتاد على سهولة استعمال رؤوس الأموال القليلة أو الكثيرة التي تمنحهم بالصيت والكرامة؛ وبذلك تتملكهم روح العسكريين، أي يعتادون على أن ينادوا الأقل منهم ب "أنت" باحتقار، كذلك يفعلون ذلك مع الأجانب الذين يحتاجون أن يتقربوا منهم؛ ليستطيعوا تحسين أحوالهم• آه! وكيف يقوم هؤلاء الغشاشون الأثرياء بالأفعال الاستبدادية، ويقيدون بلا رحمة من وراء العيون السحرية للمكاتب مكاسبهم، كيف تنقبض هذه الوجوه الحقيرة باندفاع القتلة وتجيب: دعك من الضيق يا رجل، أنشتري بيوتا من طابق واحد؟!

مع ذلك يصبر الفرد ويضحك ويرمي السلام؛لأن "هذه هي الحياة•"•
أحيانًا لو أنهيت جولتي ولا أزال في الطريق، أتحدث مع حارس عربات معرض الزهور•
هذا المعرض كغيره من المعارض الكثيرة الأخرى• أرضية الشارع ذو المنازل المدهونة بالجير مغطاة بمساحات شاسعة من الشمس التي تكتسحها فجاة• تجلب الرياح الرائحة النفَّاذة للخضروات، تظلل مظلات الأكشاك الموائد الفولاذية الموضوعة بتوازى على نفس الاتجاه بمنتصف الطريق• لا تزال الصورة أمام عينى•

يتكون المعرض من صفين•أحدهما مكون من الجزارين وبائعي الخنازير والبيض والجبن، والآخر يتألف من بائعي الخضروات• يمتد الصف صارخًا بكثرة الألوان والحليات المدهونة بالحبر بواسطة الرجال الملتحين دون سترة بجوار السلات المليئة بالخضروات• يبدأ الصف بأكشاك بائعي الأسماك بالسلات الملطخة بحمرة الجمبري، وزرقة القشقوش، والمحار البني، وزرقة القواقع الرصاصية، والبياض الزنكي للسمك•

تطوف الكلاب مثيرة غضب بائعي الكرشة• يمسك التجار- أصحاب الأيادي المشعرة العارية والمريلة التي تغطي الصدر- السمك من الذيل، ويفتحون البطن بسكين، وينزعون بأظافرهم الأحشاء حتى سلسلة الظهر، ثم بعد ضربة قوية يقسموه لنصفين• بعيدًا يكشط بائعو الكرشة الكرشة المائلة للصفرة على قصدير موائدهم، أو يعلقون على الخطافات الكبدة الحمراء الضخمة• عشرة صيحات رتيبة تكرر: قشقوش أخضر طازج••• طازج يا هانم•
صوت أخر يصيح: هنا••• هنا البضاعة الجيدة، تعالوا لترونها•

تسيح قطع الثلج المغطاة بالنشارة الحمراء ببطء في الظل فوق ظهر السمك الموضوع بالصناديق•
دخلت، وسألت الكشك الأول: رينجو"الأعرج"؟!
كانوا يلوحون بأيديهم المسندة على الخصر والمريلة القذرة المنتفخة فوق البطن وينادون بأصوات صارخة وغنائية: رينجو، تعالى يا رينجو•

ولأنهم كانوا يقدرونه، عندما كانوا ينادون عليه كانوا، يضحكون بقهقهات عالية، لكن الأعرج كان يعرفني من بعيد• ولكي يتمتع بشعبيته كان يمشي ببطء ويعرج قليلاً• عندما كان يجد أمام أي كشك أية خادمة يعرفها، يلمس حافة القبعة بطرف السوط الجلدي•

كان يتحدث وهو واقفًا ومبتسمًا مظهرًا الأسنان غير المستقيمة بابتسامة دائمة ماكرة• فجأة، يغمز بعينه مائلاً على العمال الجزارين الذين يشيرون له بأصابعهم بإشارات بذيئة• يصيحون من الجانب الأخر: رينجو••• أنت•••رينجو تعالى•

يدير الحقير وجهه النحيل لأحد الجوانب قائلاً: "سنتمهل"• يتقدم بقوة بين السيدات المتجمعة أمام الأكشاك، والإناث اللاتي لا يعرفنه، والعجائز الجشعات العصبيات، والفتيات البخيلات ذوات المزاج السيىء، والصبية المعقدين المتصلفين الذين كانوا ينظرون بعدم ثقة شنيعة واشمئزاز متوارٍ• أصبح الوجه المثلث المائل للحمرة بفعل الشمس برونزي اللون من قلة الحياء• كان فاسقًا؛ حيث كان يسعده لمس مؤخرة النساء السمينة•

-رينجو•••تعالى يا رينجو•

كان يتمتع بشعبية مثل كل شخصيات التاريخ • أسعده أن يكون له أصدقاء، وأن يتبادل السلام مع الجيران، ويتحمم في هذا الجو الممتلئ بالمزاح الثقيل والفظاظة التي كانت تنشأ في الحال بين بائع قصير وعرَّابة سمينة• عند حديثه عن الأشياء القذرة، يلمع وجهه الأحمر كما لو كانوا يمشطونه بدهن الخنزير• تفرح الحلقة المكونة من بائعي الكرشة، وبائعي الخضار، وبائعي البيض من حكايات هذا المتبجح•
كانو ينادونه: رينجو••• تعالى يا رينجو•

الجزارون أصحاب البنيان القوي، وأبناء النابوليين الأقوياء، وكل الملتحيين القذريين الذين يكسبون لقمة العيش بالتجارة ببؤس، وكل الرعاع الهزيلين

والبدن، والأشرار، والماكرين، وبائعي الأسماك والفاكهة، والجزارين، وبائعى الزبد، وكل السفلة الطامعين في المال كان يسرهم الأفعال القذرة ل"رينجو"، وقلة حيائه المتكبر الوقح المتغني بالأغاني الأرجنتينية، في الممر المظلل بسيقان الخضرة، والكرنب، وقشور البرتقال، كان يتقدم متبخترًا على شفاهه هذه الأغنية الفاحشة: جميل الاستمتاع بالفرس.

كان وغدًا جديرا بالاحترام. تولى المهنة الشريفة كحارس للعربات منذ اليوم الذي أصابه التواء في رجله نتيجة للسقوط من فوق الفرس، كان يرتدي دائمًا نفس البدلة -بنطلون أخضر من الصوف الرقيق وجاكيت- تجعله مثل مصارع الثيران. يتزين بياقة بشريط مطاطي مع منديل أحمر، تظلل وجهه قبعة كبيرة مشحمة، وبدلاً من أن يلبس حذاءً، كان يرتدي صندلا بنفسيجي اللون، ومزين بالنقوش الوردية على الطراز العربي.

كان يتجول بالسوط الذي لا يتركه أبدًا متنقلاً من جانب لأخر بصف العربات؛ ليحرس هدوء الخيول التي تقضم الأكل بشراسة من الضجر. وبالإضافة لكونه حارسًا، كان لديه أجراس للتنبيه من اللصوص. كان يتعرض للنساء وهي الهواية التي لم يستطع التخلي عنها لاعتياده عليها. خلاصة القول أنه صعلوك لطيف جدًا، ويمكن أن تنتظر منه أية خدمة وأية فعلة سيئة.

قال أنه درس ليصبح فارس سباق، وقد حدث له هذا الالتواء بساقه؛ بسبب حسد زملائه الذين أرعبوا الفرس في يوم الاختبار، لكن أعتقد أنه لم يتعدى أن يكون عاملاً في اسطبل. هذا هو، كان يعرف أسماءً كثيرةً للخيل وصفاته، أكثر من حفظ المرأة المتعبدة للقديسين في فهرس الشهداء والقديسيين. كانت ذاكرته عبارة عن تقويم "غوتا" عن الأصالة الحيوانية، عندما كان يتحدث عن الدقائق والثوانى، يُعتقد أنه عالم فلك، وعندما كان يتحدث عن نفسه، وعن الخسارة التي لحقت بالبلد بخسارة فارس مثله، ربما يشعر الفرد بميله للبكاء: يا له من متشرد!

لو ذهبت لأراه، يترك الأكشاك حيث يتشاور مع بعض العاهرات، ويأخذني من ذراعي، ويقول لي مستفتحًا: أعطني سيجارة•••
ونتوجه لصف العربات، ونصعد على العربة المظللة جيدًا، ونتحدث بهدوء• كان يقول: لقد احتلت على التركي "سالمون"• ترك رجل خروفا منسيا في العربة، فناديت "بيبي" وقلت له: خذ هذا إلى الحجرة•
قال: في يوم أخر جاءت طلبية سمك• كانت تهتز كثيرًا، وملفوفة جيدًا، لكنها متبعثرة، ومشيت متعبًا••• متعبًا وقلت المال وأمسكت عربة السمك•

مشيت كثيرًا يا أخي! عندما عدت، كانت الساعة التاسعة والربع، وكانت الدابة الهزيلة تتصبب عرقًا مما أشعرني بالخوف• أمسكتها وجففتها جيدًا، لكن الأسباني لابد أنه كان ينظر عمدًا؛ لأن اليوم وأمس أتت طلبية سمك، والكل كان ينظر إذا كانت في العربة أم لا• لو كان معى الآن هذا النوع من السمك، لكنت أخفيتها في أحشائي•
ونظر لابتسامتي مشيرًا: يجب أن أعيش، انتبه فالحجرة بعشرة بيزو، يوم الأحد، ألعب اليانصيب مع فخامتك و"باسكيتو" و"لا أدورادا"، وفخامتك تتسبب في إفلاسي•

لكنه لاحظ اثنين متشردين يدوران بمكر حول عربة في آخر الصف، صرخ لأعلى: أنتما، ماذا تفعلان هناك يا أبناء العاهرة؟!

ورفع السوط، وجرى باتجاة العربة• وبعد أن راجع طقم الخيل بهدوء، عاد وهو يهمهم: تخيلت أنهم سرقوا مقدمة العربة أو بعض الألجمة•

اعتدت في الأيام الممطرة أن أقضي الصباح بصحبته• تحت غطاء أحد العربات، وجد "رينجو" على الكراسي شنطا وصناديقا رائعة• كنت أعلم أين يوجد؛ فمن تحت المظلة كانت تتسرب سحب الدخان• للعلم، كان "رينجو" يمسك مقبض السوط كما لو كان يمسك جيتارًا• كان مغلقا

عينه قليلاً، ويدخن السيجارة بقوة وبصوت أجش، في لحظات، يبدو متعجرفًا من الشجاعة، وفي لحظات، حزين من الشهوانية، كان يغني:
عندي حجرة أستغلها كثيرًا
أذهب لها الساعة الحادية عشر
وأستأجرها
وأستأجرها
لكي أتودد لها بمفردي

كانت السيجارة تُدخن من تحت أنفه وهو يرتدي القبعة فوق أذنيه، والقميص مفتوح قليلاً فوق صدره الأسمر. كان يبدو الأعرج مثل اللص، وأحيانًا اعتاد أن يقول لي: أليس صحيحًا يا أشقر أن مظهري كاللص؟!
وإن لم يكن كذلك، كان يحكي بصوت منخفض بين الأدخنة الكثيفة لسيجارته حكايات الضاحية وذكريات طفولته التي قضاها في بلدة "كابابيتو"، ذكريات لعمليات سلب ونهب، وسرقات في اليوم بأكمله، وأسماء "كابيستيتا ديه أوخو"، و"النجلس"، الأخوان الاثنان "لاريبالو" الذان كانا جزءً من هذه الحكايات. قال "رينجو" بحزن: لو أتذكر! كنت....دائمًا كانوا موجودين عند ناصية شارعى "مندز ديه انديس " و"بيابيستا"، متكاين على الواجهة الزجاجية لمخزن أحد المهاجرين الأسبان. كان الأسباني مغفلاً كبيرًا؛ حيث كانت زوجته تنام مع رجال آخرين، ولديها طفلتين في الحياة. لو أتذكر! دائمًا كانوا هناك يتشمسون ويضايقون المارة، كان يحضر أحدهما بعض الطعام ولا يظل أحد نائما: من أكل رجل الخنزير؟!
يجيب الأخر: الموجودة في الوجبة. آآآه لو كانوالأغبياء!. إذا غضبت يهجموا عليك.
أتذكر. كانت المرة الأولى، أتى رجل تركي، كنت بصحبة الدابة الهزيلة في دكان حداد فرنسي يقع أمام صالة بولينج، وفي غمضة عين، طار كوخ الرجل التركي بوسط الشارع، فأراد أن يخرج المسدس، وطاااااخ ضربه "الأنجليس"، ودحرجه على الأرض. كسر "أريبالو" السلة و"كابيستيتا" الصندوق، عندما أتى الشرطي، كان يوجد فقط الكوخ والتركي الذي كان

يبكي بأنفه الملتوية؛ كان "أريبالو" هو الأكثر قساوة• كان طويلاً وأسمرا وأعورا، لديه علاقات كثيرة بالنساء، آخر علاقة كانت مع زوجة الأونباشي• أصبح بالفعل مقبوضًا عليه بناءً على توصية، قبضوا عليه مع كثيرين مثله في المقهى الصغيرالواقع قبل شارع "سان إدواردو"• فتشوه، وكان لا يحمل أسلحة، وضع له الأونباشي الكلابشات وأخذه ، وفي الظلام قبل الوصول لمدينة "وجوتا"، سحب "أريبالو" سكينًا ملفوفة بمناديل، وغرسها بأكملها في القلب، سقط الأخر صريعًا، وقال "أريبالو"؛ "اذهب لتختفي في منزل أخت تعمل مكوجية•"، لكن في اليوم التالى، قبضوا عليه• قالوا أنه مات مسلولاً من الضرب بالسوط المطاطي•

هكذا كانت حكايات "رينجو" رتيبة ومملة ودموية• انتهت حكاياته قبل أن يذهب في الساعة المحددة التي ينفض فيها المعرض• دعاني الأعرج؛ تعالى يا أشقر، لنجمع بقايا الطعام!

-لنجمع•

كان يدور بالحقيبة الموضوعة على كتفه على الأكشاك والتجار، ودون حاجة للطلب منهم، كانوا ينادونه؛ تعالى يا "رينجو"، خذ•

وكان يجمع الدهن والعظام المكتظة باللحم، ومن بائعي الخضار الذين لا يعطونه ورق الكرنب، كانوا يعطونه البطاطس أو البصل• ومن بائعي البيض قليل من الزبد، ومن بائعي الكرشة شريحة كبدة• كان "رينجو" البشوش بقبعته المائلة فوق أذنه ، والسوط على ظهره، والحقيبة في يده يعبر بشموخ مثل الملك أمام التجار، حتى الناس البخيلة كثيرًا والوضيعة يتجرؤون على سلب أي بواق للطعام؛ لأنهم كانوا يعرفون أنه يمكن أن يضرهم بطرق كثيرة• انتهى قائلاً؛ تعالى لتأكل معي•

-لا، إنهم ينتظروني في المنزل•

-تعالى ولا تكن أحمقًا• سنشوى لحما ونقلي بطاطس، ثم سأعزف لك على الكمان، ويوجد نبيذ، نبيذ "سان خوان" الذي أشتريته قبل اثنتي عشرة ساعة• اشتريت لنفسي وعاءً زجاجيا للخمر؛ لأن المال الذي لا ينصرف يُلعب به•

حسنًا، كنت أعلم جيدًا لماذا كان يصرعلى أن أتناول معه الغداء• كان سيستشيرني بخصوص اختراعاته؛ لأنه كان لديه ميول المخترع• وفقًا لما

قاله، فقد ولد "بين أقدام الخيول"، في ساعات قيلولته، يجمع الأجهزة والاختراعات ليسرق أموال الآخرين• أتذكر أنه في يوم ما شرحت له معجزات الطلاء بالكهرباء• ظل مندهشًا كثيرًا، وحاول أن يقنعني لأيام كثيرة أن نؤسس شركة تصنيع عملة مزيفة، عندما سألته من أين سنحصل على الأموال، أجاب: أنا أعرف شخصًا لديه أموالا، إذا أردت، سأعرفك به ونتفق••• سنذهب أم لا؟

-سنذهب•

فجأة نظر "رينجو" نظرة متفحصة حوله، ثم نادى بصوت كريه: البيبى•

ظهر "البيبي" الذي كان يتشاجر مع متشردين آخرين مثله ثانية، كان لا يبلغ عشرة أعوام وطوله أقل من أربعة أقدام، لكن وجهه يشبه وجه أحد المغوليين• ينحت البؤس وتجربة التشرد بوجهه تجاعيد لا تمحى، أنفه مفلطحة وشفتاه غليظتان، كان مشعرًا جدًا• تختفي أذناه من نهايات شعره المجعد الكثيف؛ كل هذه الصورة غير المتحضرة القذرة مزينة ببنطال يصل لكعبيه، وقميص أسود للبَّان الباسكي•

حمل "البيبي" الحقيبة على ظهره ومشى سريعًا• كان خادمًا وطباخًا ومساعد "رينجو"• وآواه في بيته مثلما يأوي كلبًا، وفي مقابل خدماته يلبسه، ويطعمه، كان خادمًا مخلصًا كثيرًا لربه•

حكى لي: انظر• في يوم آخر عندما فتحت امرأة محفظتها في أحد الأكشاك، وقعت منها خمسة بيزو• أخفاها "البيبي" برجله، ثم رفعها• ذهبنا للمنزل، لم يوجد أي أثر•

-اذهب لنرى، هل سيبيعون لك دون أن تدفع؟!

أجابنى المجنون: ليس ضروريًا•

وأخرج خمسة بيزو•

-عجبًا! الأمر ليس سيئًا•

-ومن هناك للسرقة• ألا تعرف ما حدث؟!

-احكي•

قلت له: لكن انتبه!••• في إحدى الأمسيات، رأيتك تخرج، إلى أين ذهبت؟

-للكنيسة.
-عجبًا، الكنيسة؟!
-فهمت.
وبدأ يحكي لي عن صندوق الصدقة الموجود بداخل جدار المدخل، قد رأى "البيبي" طرف البيزو ظاهرًا، من الواضح أنهم قد أدخلوه مضغوطًا، أخرجه بمسمار صغير، حيث صنع خطافًا صغيرًا بمسمار ليبدأ في اصطياد كل النقود الموجودة داخل الصندوق.
ضحك "رينجو"، وإذا ظننت أن "البيبى" هو الذي أخترع السنارة، فلابد من أنه الصياد ، لكن لم أقل ذلك، وطرقت بيدي على ظهره هاتفًا: آه ، رينجو، رينجو!
ضحك "رينجو" ضحكة لوت شفتيه فظهرت أسنانه.
في بعض المرات، في الليل أقول: الرحمة، ومن يتملكه الرحمة حيالنا. من يتملكه الرحمة حيالنا فوق هذه الأرض، نحن بؤساء لا نملك إله نسجد أمامه، وكل حياتنا الفقيرة تبكي، أمام من سأسجد، مع من سأتحدث عن مشاكلي وهمومي القاسية، وهذا الألم الذي ظهر في المساء المتقد ولا يزال بداخلي.
كم كنا صغارًا، والأرض الأم لم تردنا بين أيديها، أوجدتنا هنا مكومين بلا أى أهمية!
-لماذا لا نعرف ربنا؟!
-آآآه! لو يأتي مساء ويحيط بيديه الصدغين.
من يمكن أن نطلب منه أكثر؟ نسير بابتسامته الظاهرة، والدموع المعلقة في الأهداب. في يوم خميس في الساعة الثانية ظهرًا، أخبرتني أختي أن هناك شخصًا ينتظرني على الباب، خرجت وكانت المفاجأة التالية، وجدت "رينجو" متأنقًا كثيرًا على غير المعتاد، حيث استبدل منديله الأحمر بياقة محتشمة من النسيج، واستبدل الصندل المنقوش بالزهور بزوج جديد من الأحذية.
-أهلاً.أنت هنا؟
-هل أنت متفرغ يا أشقر؟
-نعم. لماذا؟

-إذًا، أخرج، يجب أن نتحدث.
-انتظرني دقيقة.
دخلت ووضعت الياقة على رقبتي، وأخذت القبعة وخرجت، لن تكن مبالغَة إذا قلت أنني تشككت على الفور في أمر ما، وعلى الرغم من أنني لم أستطع تخيل الهدف من زيارة "رينجو"، عزمت على أن أكون حذرًا.
ذات مرة في الشارع تفحصت وجهه ولاحظت أن لديه أمرًا مهما سيخبرني به؛ لأنه كان ينظر إليَّ خفية، لكن الفضول انتابني، وشعرت أنه سيحدثني في أمر مهم: وماذا بعد؟
-منذ أيام وأنت لا تأتي للمعرض.
-حقًا... كنت مشغولاً... وأنت؟
التفت "رينجو" ليراني. كنا نسير في طريق مظلل، بدأ يلقي ملاحظات عن الطقس، ثم تحدث عن الفقر والمضايقات التي تجلبها له أعماله اليومية، قال لي أيضًا أنه في الأسبوع الأخير قد سُرق منه زوج من الألجمة. عندما انتهى من الكلام أوقفني بمنتصف الطريق، وأمسكني من ذراعي وأطلق هذه العبارة: قل لي يا أشقر هل تثق فيَّ أم لا؟
-وهل أحضرتني إلى هنا من أجل أن تسألني عن هذا؟
-أتثق أم لا؟
-انظر يا "رينجو"، حدثني، هل تثق أنت بي؟
-نعم... أنا أثق بك... لكن قل، أأستطيع أن أتحدث معك؟
-بالتأكيد يا رجل.
-انظر، سندخل إذًا هنا ونتناول شيئا.
سار "رينجو" إلى مكتب المشروبات الموجود في أحد المخازن، وطلب زجاجة بيرة من غسالة الصحون، جلسنا على مائدة في الركن الأكثر ظلمة، وبعد أن شربنا، قال وهو يحمل على عاتقه حملاً ثقيلاً: يجب أن أطلب منك نصيحة يا أشقر. أنت عالم، لكن من فضلك... أوصيك يا أشقر...
قاطعته: انظر يا "رينجو"، دقيقة. أنا لا أعرف ما يجب أن تقوله لي، لكنني أنبهك إلى أنني أحفظ الأسرار. لا أسال ولا أقول أيضًا.

وضع "رينجو" قبعته فوق الكرسي. كان لا يزال متعمقا في التفكير، وعلى وجهه الجشع كانت الحيرة العقلية تحرك عضلاته فوق اللحية من التفكير. كانت شعلة من الشجاعة تسطع في عينيه، ثم نظر إليَّ بقوة، وشرح: إنها خطوة ناجحة يا أشقر. عشرة آلاف بيزو على الأقل.

نظرت إليه بلامبالاة، جاءت هذه اللامبالاة من اكتشاف سر يمكن أن يغنينا كثيرًا وجاوبته لأعطيه الثقة:

-لا أعلم ما الأمر، لكن هذا قليل.

فتح "رينجو" فمه ببطء: يبدو لك قليلاً. عشرة آلاف بيزو على الأقل يا أشقر... على الأقل.

قلت له مصمما: نحن اثنين.

أجاب: ثلاثة.

-أسوأ من الأسوأ.

-لكن الثالثة هي زوجتي.

وفجأة بدون أن يشرح لي تصرفه، أخرج مفتاحا صغيرا مفلطحا، ووضعه فوق المائدة، وتركه هناك. لم ألمسه.

نظرت بتركيز في عينيه، وضحكت له كما لو كان جنون الفرحة شرح روحه. للحظات كان يشحب وجهه، شرب كأسين من البيرة واحدًا تلو الأخر، وداعب شفتيه بظهر يده، وقال بصوت بدا وكأنه ليس صوته: جميلة الحياة!

-نعم، الحياة جميلة يا "رينجو". إنها جميلة. تخيل الحقول الكبيرة، والمدن الموجودة على الجانب الأخر للبحر، والإناث اللاتي سيتبعننا ونحن نعبر مثل الأثرياء الجانب الأخر للبحر.

-هل تعرف الرقص يا أشقر؟

-لا، لا أعرف.

-يقولون هناك أن من يعرف رقص التانجو يتزوج من المليونيرات... وأنا سأذهب يا أشقر، سأذهب.

-والمال؟

نظر إليَّ بقسوة، ثم طمرت فرحة محياه، ثم انبسط وجه الجشع بوداعة: لو تعرف كيف عملت يا أشقر! هل ترى هذا المفتاح؟! هو لصندوق

حديدي•
أدخل يده في الحقيبة، وأخرج مفتاحًا أكثر طولاً، واستمر قائلاً: هذا هو مفتاح باب الحجرة التي يوجد بها الصندوق• صنعته في ليلة واحدة يا أشقر بالمبرد• عملت كما يجب، مثل الشيطان•
-هل هي التي أحضرته لك؟
-نعم،عملت أول مفتاح منذ شهر، والثانى أول أمس• انتظرتك كثيرًا في المعرض، لكنك لم تأتِ•
-والآن؟!
-أتريد أن تساعدني؟ سنقسمهم بالنصف• هم عشرة آلاف بيزو يا أشقر، وضعهم بالأمس في الصندوق•
-كيف عرفت؟!
-ذهب إلى البنك، وأحضر رزمة كبيرة• رأتها وقالت أنها ملونة•
-وستعطيني النصف؟!
-نعم، النصف• هل قررت؟!
-تقلصت فجأة على الكرسي، متظاهرًا أن الحماس تملكني•
-أهنئك يا "رينجو"، ما فكرت به رائع•
-أهذا رأيك يا أشقر؟!
-و لا أي معلم كان يمكنه أن يخطط كما فعلت أنت في هذه المسألة• لا توجد مشكلة• كل شيء مظبوط•
-بالتأكيد، أليس كذلك؟!
-من الؤكد يا أخى• سنخبئ المرأة•
-لا توجد أي مشكلة؛ فأنا أملك بالفعل حجرة مؤجرة بها سرداب• سأخبئها هناك في الأيام الأولى، ثم آخذها إلى الشمال وهي متنكرة بزي رجل•
-أتحب أن نخرج يا "رينجو"؟!
-نعم،لنخرج•
كانت تحمينا قبة شجرات الموز من حرارة الشمس، ترك "رينجو" وهو يظن أنه يدخن السيجارة بين شفتيه•
-سألته: من صاحب المنزل؟!

-مهندس.
-آه! هو مهندس؟!
-نعم، لكن قل لي يا أشقر، أقررت؟!
-لماذا لا... نعم يا رجل... لقد سأمت من المشي لأبيع الورق، دائمًا نفس الحياة، التعب من أجل لا شيء، حدثني يا "رينجو"، هل جربت هذه الحياة؟ نعمل من أجل أن نأكل، ونأكل من أجل العمل. "لا شيء" من السعادة، و"لا شيء" من الحفلات، كل الأيام مثل بعضها البعض يا "رينجو". هذا الضجر ولىَّ.
-أكيد يا "ريو"، معك حق، ألهذا أنت قررت؟!
-نعم.
-إذًا، فلنقم بالضربة هذه الليلة.
-بأقرب وقت؟!
-نعم، هو يخرج كل ليلة و يذهب إلى النادى.
-هل هو متزوج؟
-لا، يعيش بمفرده.
-هل يسكن بعيدا عن هنا؟
-لا، يسكن في غرفة قبل ميدان "ناثكا" بشارع "بوجوتا"، لو تحب، سنذهب لترى البيت.
-هل هو في الطابق العلوي؟
-لا، إنه منخفض، وأمامه حديقة، وكل الأبواب تطل على المعرض، وتوجد مساحة من الأرض على بعد.
-وهي؟
-هي خادمة.
-ومن يطبخ؟
-الطباخة.
-إذًا معه أموال؟
-لابد من رؤية المنزل! بكل مكان فيه توجد قطعة موبيليا!
-وفي أي ساعة سنذهب هذه الليلة؟
-في الحادية عشر.



obeikandl.com

-وستكون بمفردها؟
-نعم، عندما تنتهي الطباخة من عملها، تذهب إلى منزلها.
-لكن، أهذا أكيد؟
-أكيد، يوجد مصباح في منتصف الحجرة، وستترك لنا الباب مفتوحًا، سندخل مباشرة إلى المكتب ونخرج المال، سنقتسمه هناك، وسآخذه إلى المأوى.
-والشرطة؟
-الشرطة... الشرطة تمسك المشتبه فيهم، وأنا أعمل حارس عربات، بالإضافة لذلك، سنلبس قفازات.
-أتريد نصيحة يا "رينجو"؟
-اثنتان.
-حسنًا، اسمعني، أول شيء يجب أن نفعله، ألا يرى أحدنا الآخر اليوم هناك. يمكن أن يتعرف علينا أحد من الجيران، و يرسلنا إلى الموت، أيضًا ليس هناك أي فائدة من الذهاب إلى هناك إذا كنت تعرف المنزل تماما. ثانيًا، بأي ساعة يخرج المهندس؟
-ما بين التاسعة والنصف والعاشرة، لكن يمكن أن نراقبه.
-فتح الخزنة مسألة تتم بعشر دقائق.
-لا لن تستغرق هذا الوقت؛ فالمفتاح مجرب مسبقًا.
-أهنئك على الحيطة... هكذا يمكن أن نذهب في الحادية عشرة.
-نعم.
-وأين سنلتقي؟
-في أي مكان.
-لا يجب أن نكون حذرين. سأكون في مقهى "أوركيدياس" الساعة العاشرة والنصف. ستدخل أنت، لكن دون أن تسلم عليَّ. ستجلس على مائدة أخرى، وسنخرج في الحادية عشرة، سأتبعك. ستدخل المنزل وأدخل أنا ورائك، وكل واحد يذهب في طريقه.
-بهذا الشكل، سنتجنب الشبهات. الأمر مدروس جيدًا... هل معك مسدس؟
-لا.

فجأة لمع السلاح في يده، و قبل أن أتجنبه، أدخله في حقيبتي•

-معي سلاح أخر•

-لا توجد مشكلة•

-لا أحد يعلم ما يمكن أن يحدث•

- وأنت ستكون قادرًا على أن تقتل؟

-أنا•• السؤال••• بالطبع!

-اييه!

بعض الأشخاص الذين كانوا يمرون، كانوا يجعلوننا نصمت، انحدرت من السماء سعادة كانت تتسرب من الحزن بداخل روحي المذنبة، تذكرت سؤالا لم أسأله بعد فقلت: وكيف ستعرف أننا سنذهب الليلة؟

-سأعطيها الإشارة بالتليفون؟

-والمهندس لن يكون موجودا اليوم في البيت؟

-لا، لو تحب سأكلمها الآن•

-من أين؟

-من هذه الصيدلية•

دخل "رينجو" ليشتري أسبرين، وخرج بعد وقت قصير، بالفعل كان قد اتصل بالمرأة• تشككت بتآمر في الأمر، فسألت مستوضحًا:

-أنت تعتمد عليَّ في هذه المسألة، أليس كذلك؟

-نعم يا أشقر•

-لماذا؟

-لأنه كذلك•

-الآن كل شيء جاهز•

-كل شيء•

-هل معك قفازات؟

-نعم•

-أنا سألبس جواربا، ستكون نفس الشيء•

فيما بعد صمتنا•



obeikandl.com

سرنا طيلة المساء عشوائياً، وبفكر شارد باغتتنا نحن الاثنين أفكارا متفاوتة• أتذكر أننا دخلنا ملعب كرة بولينج، شربنا هناك، لكن الحياة كانت تدور حولنا مثلما تُرى بعيون السكران• صور ساكنة منذ زمن بعيد تشبه السحب اعتلت عقلي، جرح ضوء الشمس حدقات العين، وحلم كبير سيطر على مشاعري، وللحظات تحدث بتهور دون مناسبة• كان "رينجو" يسمعني مذهولاً• فجأة، تشعبت بداخل روحي فكرة خفية، وشعرت أنها تتحرك بأحشائي الدافئة، كانت باردة مثل خيط المساء و لمست قلبى• ـ وإذا أبلغ عن الجريمة؟

تخوفت من أن يختلط فكري، فنظرت مذعورًا إلى "رينجو"، الذي كان ينظر وهو ناعس إلى الملعب حيث الكرات المتناثرة، كان هذا المكان مظللاً وملائمًا لإنتاج أفكار لا إنسانية، كان شارع "ناسكا" المتسع يُفقد على مدى البصر، كانت الحجرة الخشبية لصاحب الحانة المدهونة باللون الأخضر مسندة على جدار عمارة شاهقة مدهون بالقطران، وفي بقية المكان، كانت تمتد شرائط متوازية من الأراضي المغطاة بالرمال• انتشرت الموائد الحديدية في مناطق مختلفة• فكرت من جديد•
-وإذا أُبلغ عن الجريمة؟

نام "رينجو" بذقنه المسندة على ظهره، والقبعة الملقاة فوق الوجه، سقط شعاع من الشمس على ساقه بالبنطال الملطخ ببقع الشحم، خدر روحي أزدراء عظيم، وأمسكته فجأة من ذراعه وصرخت بوجهه: رينجو!
-أيه•••أيه•••ماذا جرى؟
-لنذهب يا "رينجو"•
-إلى أين؟
-إلى المنزل، يجب أن أجهز الملابس؛ فالليلة سنقوم بالضربة، وغدًا سنهرب•
-بالتأكيد، لنذهب•
لمرة واحدة، اعتلت بعض المخاوف عقلي• رأيت كياني ممتدًا بين كل

الرجال• امتد العار بحياتي بينهم، وكل واحد منهم كان يلمسني بأصبعه• وأنا لم أعد أنتمي لنفسي أبدًا مرة أخرى• قلت لنفسي: لماذا؟ لو فعلت ذلك، سأدمر حياة الإنسان الأكثر نبلاً والذي قد عرفته• لو فعلت ذلك، سأدين نفسي للأبد، وسأكون بمفردي مثل يهودا الاسخريوطي• سأعاني ألمًا طوال حياتي• سأعاني ألمًا كل أيام حياتي، ورأيت نفسي ممتدًا بداخل مساحات حياتي الداخلية، مثل الضيق المخجل حتى بالنسبة لي•

عندئذ سيكون غير مجدٍ أن أجد نفسي أختلط بالغرباء، كانت الذكرى التي تشبه الضرس الفاسد بداخلي، وعكرت رائحتها الكريهة كل روائح الأرض العطرة، لكن بقدر ما كان الحدث يقع على مسافة، كان شري يجد العار ممتعًا•

لماذا لا؟!••• عندئذ سأحتفظ بسر، سر مشئوم بغيض سيدفعني للاستقصاء عن أصل هذه الجذور المظلمة، وعندما لم يكن لدي شيء لأفعله، أصبحت حزينًا، وفكرت في "رينجو"، وسألت نفسي: لماذا كنت وغدًا ؟! لم أتمكن من إجابة نفسي، وفي هذا الاستقصاء، شعرت كما لو فتحت بداخلي آفاق روحية غريبة•

في الحقيقة أنا مجنون بخليط من الدهاء، لكن "روكامبوليه" لم يكن أقل من ذلك؛ كان يقتل••• أنا لا أقتل• ببعض الفرنكات القليلة أدلى بشهادة زور إلى البابا "نيكولو"، وتسبب في شنقه بالمقصلة، حنق العجوز "فيبارت" التي كان يحبها مثل والدته، وقتلها، وقتل الكابتن "ويليامس" الذي كان يريد أمواله، ولقبه "ماركيز"• من الذي لم يخنه ؟!

فجأة، تذكرت بوضوح المقطع المدهش في العمل: "نسى "روكامبوليه" للحظة آلامه الجسدية• شعر السجين الذي كان ظهره مليئًا بعلامات ضرب عصا مأمور السجن، إنه مفتون• بدا له أنه يرى أمام عينه "باريس" و"الشانزليزيه" وشارع "البوليفر" الإيطالى -شارع مليىء بالشجر والحدائق- مثل الحشد الساحر، كل هذا العالم المتوهج بالضوء والضجيج قد عاش بداخله من قبل"•

فكرت: وأنا؟... سأكون هكذا؟ ألن أصل لأعيش حياة فاخرة مثل حياة "روكامبوليه"؟

رنت الكلمات التي قلتها من قبل ل"رينجو" في أذني مرة أخرى، كما لو كان يتفوه بها شخص أخر: "نعم، الحياة جميلة يا "رينجو". إنها جميلة. تخيل الحقول الكبيرة، والمدن الموجودة على الجانب الأخر للبحر، والإناث اللاتي سيتبعننا ونحن نعبر مثل الأثرياء الجانب الأخر للبحر."
حل بداخلي صوت آخر: وغد ...أنت وغد.

التوى فمي. تذكرت شخصًا أبلهًا كان يعيش بجوار منزلي، وكان يقول باستمرار بصوت أنفي: "لو لم يتملكني الشعور بالذنب!".
-وغد... أنت وغد.
-"لو لم يتملكني الشعور بالذنب!".
-آه! وغد... وغد...
-لا يهمني... سأكون جميلاً مثل يهوذا الاسخريوطي. سأعاني طوال حياتي من الألم... الألم... سيفتح الكرب بعيوني أفاقا روحية عظيمة... لكن ما أكثر الخداع! أليس معي حق؟! ربما أنا؟!... وسأكون جميلاً مثل يهوذا الاسخريوطي... وسأعاني بكل حياتي ألمًا... لكن... آه! الحياة جميلة يا "رينجو"، إنها جميلة... وأنا... أنا قضيت عليك ودمرتك... أنا أرسلتك للهاوية... نعم فأنت ماكر... أنت "ضفدع"... أنا قضيت عليك. نعم عليك يا "رينجو"... عندئذ سأكون جميلاً مثل يهوذا الاسخريوطي...سيتملكني الألم... الألم... أنا عاهر!

كست بقع من الذهب الأفق، الذي كانت تظهر فيه ريشات من القصدير، وسحب عاصفة، ودائرة من ستائر الذوابع ذات اللون البرتقالي، رفعت رأسي ورأيت نجمة تلمع قليلاً بالقرب من القمة بين ملاءات السحب، قلت متشككًا أنها قطرات الماء التي تهتز بالصدع الموجود بقطعة البورسلين الأزرق، وجدت نفسي في الحي الذي يسكن فيه "رينجو"، كانت الأرصفة مظللة بشجرات البرقوق والحناء المورقة كثيرًا، كان الشارع هادئًا،

وبرجوازيًا بطريقة رومانتيكية، بالسياج المدهونة أمام الحدائق، وينابيع المياة الصغيرة النائمة بين الشجيرات، وبعض التماثيل التالفة المصنوعة من الجبس، كان يرن صوت بيانو في هدوء الغسق، وشعرت أنني مندهش من الأصوات، مثل قطرة الندى على امتداد سيقان النبات، انبعث من شجرة ورد غير ظاهرة سحابة طفيفة من العطر • ترنحت ثملاً فوق ركبتي، في اللحظة التي كنت أقرأ فيها لوحة برونزية: أرسنيو بترى_مهندس

مثل البيوت الأخرى، كانت تمتد أطراف الحديقة أمام الصالة، وتتقلص عند الوصول للأرضية التي تقود إلى الباب المطلى بالورنيش، كانت تمتد الحديقة مُشَكلُة زاوية على طول جدار المنزل المجاور، فوق أحد الشرفات، كانت قبة من الزجاج تحمي حافة النافذة من ماء المطر، وقفت وضغطت على زر الجرس، فُتح الباب المطلي بالورنيش، ومن فتحة الإطا، رأيت خادمة مقرونة الحاجبين ذات نظرة بغيضة، سألتني بأسلوب سيئ ماذا أريد ؟ عندما سألتها هل المهندس موجود؟ أجابتني بأنها ستراه، والتفتت لتسألني من أنا، وماذا أريد؟ أجبتها دون صبر، أن اسمى "فرنان جونزالز"، وأعمل رسامًا، دخلت الخادمة مرة أخرى، وجعلتني أدخل وهي أكثر هدوءً، مررنا من أمام أبواب كثيرة مغلقة الستائر، فجأة، فتحت باب مكتب، رأيت أمام المكتب الموجود على يساره مصباح أخضر، ورأسا شمطاء مائلة، نظر إليَّ الرجل، حييته وأشار لي لأجلس، ثم قال: دقيقة يا سيد، وسأكون معك•

تفحصته، كان شابًا على الرغم من شعره الأبيض، ظهرت على وجهه أمارات التعب والخوف، حاجبه غليظ وأذنه كبيرة حيث تشكل مثلثا مع جفونه، طرف شفته الساقطة قليلاً تناسب وجهه، الآن رأسه مسندة على راحة يديه ومائلة على ورقة، كانت رسومات وتصميمات لعمائر فاخرة يزين جدار الغرفة، ثبت عيني على مكتبة مليئة بالكتب، وتوصلت لقراءة العنون: قانون المياه، عندما سألني السنيور "بترى": بأى شىء يمكن أن أخدمك؟
سألته بصوت منخفض: عذرًا يا سيدي، قبل أى شىء، هل نحن بمفردنا ؟

-أعتقد أنه كذلك.
-اسمح لي بسؤال، ربما يكون طائشًا؟ أنت لست متزوجًا، أليس كذلك؟!
-نعم.
وقتئذٍ نظر إليَّ بجدية، وبدأ وجهه الهزيل يكتسب رويدًا قوة بدأت تظهر على وجهه كثيرًا.

استند على ظهر الكرسي، وأرجع رأسه للخلف، كانت عيناه تفحصاني بقوة. للحظة، ثبتت على عقدة الكرافته التي أرتديها، ثم توقفتا على حدقتي، كأنهما لا تتحركان هناك في حجاجهما. كانت عيناه تنتظران المفاجأة بشيء غير مألوف، أدركت أنه يجب أن أتخلى عن الإطناب
-سنيور، لقد جئت لأقول لك أنهم ينتوون سرقتك الليلة.
انتظرت أن يتفاجأ، لكنني كنت مخطئًا.
-آه! نعم... وكيف عرفت ذلك؟
-لأنني دعيت من قبل اللص، بالأضافة أنك سحبت مبلغًا كبيرًا من المال من البنك، واحتفظت به في الخزنة الحديدية.
-صحيح.
-اللص معه مفتاح الخزنة، كما أن معه أيضًا مفتاح الغرفة.
-هل رأيته؟
وأخرج من جيبه سلسلة مفاتيح وأظهر لي أحد المفاتيح السميكة جدا.
-أهذا هو؟!
-لا، الأخر.
أبعدت واحدًا شبيهًا تمامًا للذي أظهره لي "رينجو".
-من هم اللصوص؟
-المحرض هو حارس عربات يدعي "رينجو"، والشريكة هي خادمتك، سرقت منك المفاتيح بإحدى الليالي، وعمل "رينجو" آخرين مشابهين في ساعات قليلة.
-وما هو دورك في هذه المسألة؟
-أنا... أنا دعيت لهذه الحفلة كأحد المعارف، أتى "رينجو" إلى منزلي وعرض عليَّ أن أصاحبهم.

-متى رأيته ؟
-تقريبًا اليوم الساعة الثانية عصرًا.
-لم يكن لك أي معرفة سابقة بما يخطط له هذا الشخص؟
-لا، أعرف "رينجو"؛ علاقتنا نشأت من بيعي الورق للتجار في المعرض.
-إذا أنت صديقه، هذه الثقة هي فقط للأصدقاء.
-كصديق، لا، لكنه دائمًا يهتم بي.
-ليس أكثر؟
-لا، لماذا؟
-كنت أقول... لكن في أي ساعة يجب أن تأتوا هذا المساء؟
-نحن ننتظر أن تذهب إلى النادي، ثم تفتح لنا الخادمة الباب.
-الضربة جيدة، ما هو محل إقامة هذا الشخص الذي يدعى "رينجو"؟
-شارع "كونداركو" ١٣٧٥.
-حسنا، كل شيء جيد ، ومحل إقامتك؟
-شارع "كاراكس" ٨٢٤.
-حسنًا، تعالى هذه الليلة العاشرة مساءً. سيكون كل شيء جاهزا في هذه الساعة اسمك "فرنان جونزالز".
-لا، غيرته لربما تعرف الخادمة من "رينجو" عن احتمالية مشاركتي في القصة، اسمي "سيلبيو أستير".
ضغط المهندس على الزر، ونظر حوله، وبعد دقائق حضرت الخادمة، لم يبدُ على وجه "ارسينو بيترى" أنه تأثر.
-"جابريلا"، سيأتي السيد غدًا صباحًا ليبحث عن لفة التصميمات.

وأشار لها إلى رزمة متروكة على الكرسي، مع أنني لم أكن سأتسلمها، ثم نهض ومد يده لي ببرود، وخرجت بصحبة الخادمة.

تم القبض على "رينجو" في الساعة التاسعة والنصف مساءً، كان يعيش بغرفة من الخشب في منزل أناس متواضعين، عرف ضباط الشرطة الذين كانوا ينتظرونه من "البيبي" أنه قد أتى، ولكونهم يجهلون الأماكن التي اعتاد أن يتردد عليها، مثلوا فجأة أمام صاحبة المنزل، وأعلنوا أنهم شرطة، ودخلوا من سلم طويل لحجرته، على ما يبدو، أنه لم يكن هناك شيء جدير

بالاهتمام، مع ذلك كانت مفاتيح الخزنة والمكتب معلقة على مسمار على مرأى كل من يمكن أن يدخل الحجرة، وجدوا في صندوق الكيروسين مع بعض الخرق مسدسًا، وفي القاع المظلم تقريبًا قصاصات جرائد، كانت تشير لعملية هجوم مجهولة الفاعل بالنسبة للشرطة، ولأن أخبار الجرائد كانت تتحدث عن نفس الجريمة، افتُرض بالعقل أن "رينجو" لم يكن بعيدًا عن هذه القصة، قُبض على "البيبي" بحذر، أي أرسلوه مع شرطي إلى قسم الشرطة، في غرفة السطح كان يوجد أيضًا مائدة من الخشب الأبيض بصندوق جانبي كبير، وُجد هناك مخرطة ساعاتي، ولعبة من الخشب الرقيق، كانت الأشياء الموجودة تدل على أنها حديثة الاستعمال، ضُبطت كل وسائل الجريمة، وتم استدعاء صاحبة المنزل مرة أخرى•

كانت عجوز وقحة وبخيلة تلف رأسها بمنديل أسود أطرافه مربوطة تحت الذقن، تقع خصلات من شعرها الأبيض على الجبين، وفكها يتحرك بتهور لا يصدق عندما تتحدث، كانت معلوماتها قليلة؛ حيث عرفت "رينجو" منذ ثلاثة أشهر• كان يدفع لها الإيجار بانتظام، ويعمل في الصباح، سُئلت عن الزيارات التي كان يستقبلها اللص، أعطت معلومات غير واضحة، تذكرت أنه في يوم الأحد السابق حضرت امرأة سمراء في الثالثة مساءً وخرجت في السادسة مع "أنطونيو"، تم استبعاد أي احتمال عن اشتراكها في الجريمة، أمروها بالكتمان التام، فوعدت العجوز من الخوف بالتزامات لاحقة، كان ضابطا الشرطة يدوران حول التل في انتظار "رينجو"؛ حيث كانت أمنية المهندس أن يتم القبض عليه خارج المنزل لتخفف عقوبته، ربما كان يعتقد أنني أيضًا لست بعيدًا عن قرار "رينجو"•

رأت التحريات أن "رينجو" لن يأتي، من المحتمل أنه تناول العشاء في أى مطعم بضواحي المدينة، وثمل لكي يكتسب الشجاعة، لكنهم أخطأوا• في هذه الأيام، كسب "رينجو" أموالاً من رهان بسباق خيل، بعد أن تركني، عاد للتلة؛ ليخرج متأخرًا إلي بيت دعارة كان يعرفه، تقريبًا في ساعة أغلق المحلات، دخل محل بيع حقائب واشترى حقيبة، فيما بعد، توجه لغرفته لايتوقع تمامًا ما ينتظره، صعد السلم مترنمًا بأغنية، نغماتها

مختلفة تمامًا عن ضربات الشنطة المتواصلة على السلم• عندما فتح الباب، تركها على الأرض، فيما بعد أدخل يده وأخرج علبة كبريت، وفي هذه اللحظة ضربه ضربة شديدة في الصدر جعلته يتراجع، بينما أمسكه ضابط آخر من ذراعه، ليس هناك مجالاً للشك في أن "رينجو" أدرك ما يحدث؛ لأنه استسلم بعد عناء، عندما حاول الضباط أن يتبعوه، تعثروا بالحقيبة، وتدحرج أحدهما على السلم، وأخرج المسدس، وأطلق النار، ملأ صوت الرصاص الرعب في قلوب سكان المنزل، جاءت الطلقة بالخطأ في"رينجو" الذي لم يكد يصل إلى باب البيت، عندئذ حدث شيء مروع•

عرف الجزار ابن السيدة العجوزة ما حدث من والدته، واندفع لمطاردة "رينجو"، وصل إليه بعد ثلاثين خطوة، ركض "رينجو" ساحبًا رجله المتعبة، فجأة، تهاوت العصا على ذراعه، التفت، فهوت العصا فوق جمجمته، حاول وهو فاقد الوعي أن يستمر في الدفاع عن نفسه بيد واحدة، لكن ضباط التحريات الذين كانوا قد وصلوا ودبروا له مكيدة، وضُرب بعصا أخرى وصلت لكتفه، أوقعته صريعًا، عندما وضعوا له الكلابشات، صرخ "رينجو" ضرخة كبيرة من الألم: آه يا أمى!

جعلته ضربة أخرى يصمت واختفي في الشارع المظلم بمعصميه المربوطين بالكلابشات التي يشدها بعض الضباط الذين مشوا بجواره•

عندما وصلت إلى منزل "ارسنيو بترى"، لم تكن "جبريلا" موجودة، تم إلقاء القبض عليها بعد دقائق قليلة، بعدما خرجت من عنده، حقق ضابط شرطة استدعى بهذا الصدد في الدعوة التي قدمها المهندس• رفضت الخادمة في البداية الاعتراف بشيء، لكن عندما كذب عليها الضابط وقال أنه تم القبض على "رينجو" أجهشت بالبكاء، لن ينسى شهود هذه الحادثة هذا المشهد مطلقًا•

كانت المرأة الوضيعة المنزوية بأحد الأركان تنظر بعينها البراقتين لكل الاتجاهات مثل الوحش المفترس الذي ينتظر الانقضاض على فريسته، ترتعد بطريقة مبالغة، لكن عندما صمم الشرطي على أنه تم القبض على "رينجو"، وأنها ستعاني بسببه، بدأت تبكي بهدوء قليل جدًا، وازداد

عبوسها من الأحداث••• فجأة، رفعت ذراعيها ووضعت أصبعها على عقدة شعرها، ونزعت منها المشط، ونثرت شعرها على ظهرها، وقالت ويداها مضمومتان وهى تنظر كالمجنونة للحاضرين: نعم، أكيد••• أكيد••• لنذهب حيث يوجد "أنطونيو".

وصلوها إلى قسم الشرطة بعربة.

استقبلنى "ارسنيو بترى" في مكتبه، كان شاحبًا وعينه لا تنظر إليَّ عندما قال: اجلس

-سألني فجأة بصوت متغير: كم تأخذ نظير خدماتك؟

-كيف؟

-نعم، كم تأخذ؟ لن أدفع إلا لك.

أدركت كل الازدراء الذي كان يبثه بوجهي، ونهضت.

-أكيد يمكن أن تدفع لي فقط، احتفظ بمالك؛ لأنني لم أطلبه منك، مع السلامة.

-لا تعالى. اجلس••• حدثني لماذا فعلت ذلك؟

-لماذا؟

-نعم. لماذا خنت صديقك، وبدون سبب؟ ألم يخجلك أن تكون قليل الشرف رغم عمرك هذا؟!

أجبته وأنا أحمر خجلاً حتى جذور شعري: أكيد••• توجد لحظات بحياتنا نحتاج فيها لأن نكون أوغادا، أن نتدلس بداخلنا، أن نفعل شيئا مشينا، أن ندمر حياة رجل آخر للأبد، وبعد هذا الحدث نستطيع أن نسير هادئين.

لم ينظر في ذلك الوقت لوجهي، ثبتت عينيه على رابطة العنق، وبدأ وجهه يكتسب بالتدريج عبوسا ينتشر برهبة، استمريت قائلاً: إنك أهنتني، ولكن لا يهمني.

همهم: أنا لا أستطيع أن أساعدك.

-كان يمكن أن تدفع لي، لكن ذلك ليس الآن، لأنني أشعر بهدوء على الرغم من وقاحتي، أفضل منك.

صرخت فيه فجأة غاضبًا: من أنت؟ لا يزال يبدو لي الوشاية ب"رينجو" حلما.

-أجاب بصوت هادئ: ولماذا أنت هكذا؟
سيطر عليَّ إرهاق كبير، وتركت نفسي أتهاوى على الكرسي.
-لماذا؟ الله أعلم، على الرغم من أنه لو مر ألف عام، لن أنسَ وجهه، كيف سيكون حاله؟ الله أعلم، لكن تذكر وجهه سيكون دائمًا بحياتي، سيكون في روحي مثل تذكر الطفل المفقود، يمكن أن يأتي ويبصق في وجهي، ولن أقول شيئا.
مر حزن كبير بحياتي، لاحقًا سأتذكر هذه اللحظة دائمًا.
تلعثم المهندس: نعم. هذا هو.
وفجأة، تقلص وهو مازال مثبتًا عينه على رابطة العنق وهمهم كالذي يحلم: أنت قد قلت هو كذلك. تم ذلك بقانون وحشي موجود بداخل الفرد، هذا هو، تم ذلك بقانون الوحشية، هو كذلك، لكن من قال لك أن ذلك قانون؟! أين تعلمت ذلك؟!
أجبت: هو مثل العالم الذي يمكن أن يتهاوى فجأة فوقنا.
-لكنك تتوقع أن تصبح مثل "يهوذا"؟!
-لا، لكنني الآن هادئ، سأسير بالحياة كالميت، هكذا سأرى الحياة مثل الصحراء الصفراء.
-ألا يهمك هذا الموقف؟!
-لماذا؟! الحياة كبيرة، منذ دقيقة بدا لي أن ما قد فعلته كان متوقعًا منذ عشرة آلاف سنة، ثم اعتقدت أن العالم انقسم إلى قسمين، وأن الكل سيصبح أكثر نقاءً، وأننا -نحن الرجال- لن نكون تعساء كثيرًا.
ظهرت ابتسامة طفولية على وجه "بتري".
قال: هذا رأيك؟
-نعم، ذات مرة سيحدث ذلك، سيحدث أن تسير الناس في الشارع تسأل بعضها البعض، أهذا أكيد، أهذا أكيد؟!
-حدثني، ألم تمرض أبدًا؟!
أدركت ما كان يفكر فيه، وظللت مبتسما: لا... لقد أدركت ما تفكر فيه...لكن اسمعني... أنا لست مجنونا. توجد حقيقة، نعم... وهي أنني أعرف دائمًا أن الحياة ستكون دائمًا جميلة بالنسبة لي. لا أعرف إذا كان الناس ستشعر بقوة الحياة كما أشعر بها، لكن توجد بداخلي سعادة،

نوع من التهور مليئ بالسعادة• أباحت لي بصيرة مفاجئة إدراك دوافع أفعالي السابقة، واستمريت: لست فاسدا، أحب ظهور هذه القوة الهائلة الموجودة بداخلي•

-أكمل، أكمل•

-كل شيء يذهلني• أحيانًا يتولد لديَّ الإحساس بأنني قد أتيت إلى الأرض منذ ساعة، وأن كل شيء جديد وبراق وجميل، عندئذ سأحتضن الناس في الشارع ، وسأتوقف في متصف الطريق: لكن لماذا تسيروا بهذه الوجوه الحزينة إذا كانت الجياة جميلة؟! ألم يبدُ لك ذلك؟!

-نعم•

-افرح بمعرفة جمال الحياة، يبدو أن كل شيء ممتلئ بالزهور، ويدفع للركوع أمام الله وتقديم الشكر له؛ لأنه أوجدنا في الحياة•

-وأنت تؤمن بالله؟!

-أعتقد أن الله هو السعادة بالحياة، لو كنت تعرفه! أحيانًا يبدو لي أن لديَّ روح كبيرة جدًا مثل كنيسة الأزهار••• وأريد أن أضحك، وأخرج للشارع، وأضرب الناس بلكمات ودية•

-استمر•

-ألم تسأم؟!

-لا• أكمل•

-الواقع أن الفرد لا يستطيع قول هذه الأشياء للناس، سيقولوا عنك مجنون، وأقول لنفسي، ماذا أفعل بهذه الحياة الموجودة بداخلي؟! وسيسعدني أن أهبها••• أن أهديها••• وأقترب من الأشخاص وأقول لهم: يجب أن تكونوا مسرورين! هل تعرفون؟! يجب أن تلعبوا بالقراصنة••• تنشئون مدنا من الرخام••• تضحكون••• تطلقون الألعاب النارية•

نهض "ارسنيو بترى"، وقال مبتسما: كل ذلك جيد جدًا، لكن يجب أن تعمل، بأي شيء أستطيع أن أقيدك؟!

فكرت للحظة ثم: انظر• أريد أن أذهب إلى الجنوب••• لمدينة "نويكين"•••هناك حيث توجد سماء، وسحب، وجبال عملاقة، أريد أن أرى الجبل•

-تمام، سأساعدك، وسأجعلك تحصل على وظيفة بنادي اليخت، لكن اذهب الآن؛ لأن عندي عمل• سأكتب لك قريبًا•• آه، لا تنسَ سعادتك• وشدت يده يدي بقوة، تعثرت بكرسي، ثم خرجت•

obeikandl.com

obeikandl.com

## * تزييـــــــــــــــــــــل *

الهدف وراء اختيار هذا العمل لتقديمه للتدريس في الأرجنيين

إن الغرض من هذه المجموعة "مثلما يشير عنوان المقدمة" هو جعل مادة الأدب تجربة حياتية مؤثرة ومناسبة للطلبة والمعلمين؛ لذلك أخذنا هذا الهدف بعين الاعتبار "وهو الوصول باليافيعن لاكتساب عادة القراءة والرغبة فيها، وهو ما يساهم ضمنيًا في تقدم عملية النقد الأدبي• وهو هدف واضح طموح• خلال سنوات من العمل سعينا باستمرار إلى انتقاء المحتويات وناقشنا الطرق والمناهج بتبادل الخبرات بين الزملاء، وقمنا بتعديل منهجنا الدراسي؛ لنحاول بذلك تحقيق هذا الصنف الأدبي الذي ربما يبدو "إلى حد ما" تسامر بين أناس مهتمين بموضوع ما يناقشونة ويحللونه بحماس•

من جانبنا نعترف بأن جميع التجارب باءت بالفشل" بدون هراء" ونعتقد أنها أحيانًا تحقق نجاحًا؛ ففي حالات كثيرة تنجح مع مجموعة من الطلاب في إحدى الدورات، وفي حالات أخرى قليلة تنجح مع كل المجموعات، لكن نتائج التعليم "فيما يبدو" ليست مباشرة أو مذهلة، وهذه النجاحات على الرغم من أنها محدودة إلا أنها تبرر مثابرتنا؛ إذن، فهذه المجموعة "بهذا الهدف والتفكير المتقدم" مخصصة للمعلمين لتكون مشتركة بينهم و بين طلابهم الذين يشاركون اهتمامنا؛ لنحقق ذلك التقارب بين اليافعين والعمل الأدبي، وذلك التقارب يؤدي إلى برامج سارية المفعول، ويؤدى إلى رغبة حقيقية في القراءة والاكتشاف والإبداع•

نقدم في هذه الخاتمة أيضا تاريخ الكاتب "حياته وأعماله الأدبية" في إطار الحقيقة التاريخية والثقافية التي نشأ فيها وكونت حياته وتجربته،

سترد مصطلحات فنية متخصصة تسهل التفكير في العمل وتوجه الطالب لاستيعاب العملية الإبداعية بإتقان•

فينهاية الكتاب تم طرح مقترحات لازمة للقراءة للعمل بقاعات التدريس أو خارجها، بعضها من أبحاث تتعلق بالنص، وبالمعلومات المتوفرة في المقدمة وبعض المقترحات الأخرى التي تعمل على تطوير القدرات التعبيرية•

سعين "بقدر المستطاع" إلى تقديم اقتراحات ملموسة يمكن وضعها بشكل أساسي في مناهج التعليم بجميع المدارس ناقلين بذلك المحتوى الضروري ومضيفين معلومات دقيقة لتحقيق هذه الاقتراحات، وبذلك لا نزعم حصر مبادرة المعلم، لكن نسهل العمل بقاعة التدريس، والمعلم الذي يساهم بخبرته الشخصية ومعلوماته، والذي يعرف إمكانات كل فريق وكل تلميذ، سيكون في نهاية الأمر من يقرر نجاح هذه المبادرة•

أرمينيا بتروسى

obeikandl.com

*حياة الكاتب وما يقابلها من أحداث تاريخية وثقافية مهمة

١٩٠٠_

ولد "روبرتو جود وفريدو كرستوفرسن ألرت" في الثاني من أبريل لعام ١٩٠٠ في حي" فلورس"• والده "كارل ألرت " ألماني الجنسية ووالدته "كاترين إيوبسترابستر" استرالية• كان والده ذو الشخصية المتسلطة يعاقب ابنه باستمرار، مما جعله يشعر تجاهه بخوف كبير، بالإضافة لذلك فقد ترك المنزل عدة مرات بسبب توتر العلاقات الأسرية•

_تولى السياسي «خوليو أرخنتينو روكا» هيئة القضاء الأعلى للمرة الثانية• مر عامان على نشر مجلة «كاراس و كارتيس» (وجوه وأقنعة)•

١٩٠١_

_أقر وزير الحرب الأرجنتيني «ريكتشيري» قانون الخدمة العسكرية الإلزامية، وفي العام التالي صدر قانون الإقامة الذي أباح طرد من يخرب النظام الاجتماعي من الأجانب•

١٩٠٤_

قضى طفولته بحي "فلورس "وتربى على سماع عدة لغات وهي: الألمانية والايطالية ولغة الأسبان المهاجرين•

_تولى السياسي والمحامي ورجل الدولة «مانويل كينتانا» السلطة• تزايدت الهجرة بشكل ملحوظ• سُجل حوالي ٢٥٠٠ منزل في مدينة «بوينوس أيرس»• ازداد السخط الاجتماعي• تم تأسيس الحزب الاشتراكي•

_عين العضو البرلماني «خوان باوتيستا خوستو» المحامي والمشرع القانوني «ألفريدو بالاسيوس» كأول ممثل له في البرلمان•

١٩٠٥_

_ظهر تحريض ثوري بزعامة السياسي «إبوليتو يريجوين»•

_عقب وفاة «كينتانا» تولى المحامي والسياسي «فيجروا ألكورتا» الرئاسة•

_في ألمانيا وضع الفيزيائي «أنستن» نظرية عن النسبية.

١٩١٢-١٩٠٨_

_على الرغم من بدء عصر الازدهار الزراعي استمر السخط بين الطبقات المعدمة، وكان مشبَّعًا بالأفكار الفوضوية•

_قُتل رئيس الشرطة «رامون فالكون» على يد أحد الفوضويين•

_أُقر قانون الاقتراع السري الإجباري أثناء رئاسة «روكيه سانيس» بهدف القضاء على التزوير الانتخابي•

_استمرت حركة الهجرة في ازدياد•

_أُقيمت الاحتفالات بمرور أول مئوية•

١٩١٤_

_قرأ بنهم وعلى غير هدى الكثير من النصوص الأدبية والروائية والمواد السياسية المتعلقة بالمذهب الفوضوي والاشتراكي•

_مارس عدة وظائف: بائع بأحد المكتبات، وميكانيكي، وسمكري، وفي الوقت ذاته بدأ عمله ككاتب، وكان يتردد على المجالس الأدبية•

_بدأت الحرب العالمية الأولى•

١٩١٧-١٩١٦_

_انتصار انتخابي ل «إبوليتو يريجوين»•

_أُسست الدولة البلشفية في روسيا•

١٩١٨_

_كتب في مجلتي "لا استريا" (النجمة) و"لا ريبيستا بوبولار" (المجلة الشعبية)، واستمر ذلك العمل الصحفي حتى وفاته.

_بدأ الإصلاح الجامعي في قرطبة.

_ظهرت مجلة «مارتين فيرو» «فيبوينوس أيرس» برئاسة الشاعر «إيفر مندز».

_نشر الروائي والكاتب المسرحي والشاعر الأوروجواى «أوراسيو كيروجا» كتاب «كونتوس ديه لا سيلبا» (قصص الغابة).

١٩١٩_

_بدا في كتابة روايته الأولى "اللعبة المجنونة".

_بلغت موجة الاعتداءات والإضرابات والقمع الذروة في الدعوة المسماة ب «الأسبوع المأساوي».

١٩٢٠_

_ظهر عمل مختصر عن العلوم الغامضة "السحر والتنجيم" وهو موضوع مشوق للغاية ل"أرلت".

_توجه في نفس العام إلى "قرطبة"، وعمل هناك في المجلة الأسبوعية "لا باتريا" (الوطن). نشر جزءً من روايته الأولى "اللعبة المجنونة" التي كانت تحمل في البداية عنوان "بيدا بوركا" (الحياة القذرة) .

_تزايدت من جديد حركة الهجرة. تمددت خطوط السكة الحديد؛ مما سمح بتواصل جيد بين الأقاليم.

_تطورت صناعة السينما في الولايات المتحدة.

_ نشر الكاتب والطبيب والفيلسوف «خوسيه انخنيروس» كتاب «الجنونفي الأرجنتين».

١٩٢٢_

_مازال متواجدًا في "قرطبة"، وتزوج من "كارمن انتينوكسي" التي أنجب منها ابنته "مرتا"•

_فشلت المشاريع التجارية التي حاول تأسيسها •

_استقرت العائلة في مدينة" بوينوس أيرس"•

_طبع بالفعل روايته الأولى" اللعبة المجنونة"•

_تعاون مع مجلتي" أولتيما اورا "(الساعة الأخيرة) و"اكستريما اسكيردا " (اليسار المتطرف) •

_تولى «أليبيار» المنحاز بشدة لليبرالية رئاسة حزبه•

_بدء تأسيس المصانع الأجنبية للولايات المتحدة الأمريكية، وهي الدولة التي ثبتت دعائمها منذ الحرب العالمية الأولى•

_أُنشئت حقول النفط المالية وصارالجنرال «مسكوني» أول مدير إدارة لها•

_أصدر الكاتبان الأرجنتينيان» بورخس» «ومسيدونيو فرناندیث» مجلة «بروا»•

_احتشد الكتاب الذين انضموا فيما بعد للحركة الأدبية «بويدو» حول مجلة بنسادور«المفكر»•

_سيطرت الحركتان الأدبيتان «بويدو» «وفلوريدا» في هذه الفترة، وحدد كتابهما الاتجاهات والمواضيع المختلفة فيما يخص الأدب•

١٩٢٥_

_تعرف على الشاعر والروائي الأرجنتيني "ريكاردو جويرالدز" الذي عينه سكرتيرًا، وشجعه لنشر روايته•

_نشرت مجلة "بروا" فصلين من رواية "اللعبة المجنونة" وهما: "الأعرج" و "الشاعر الإبراشي"، أما الفصل الأخير لم يدمج في الطبعة النهائية للكتاب•

_رفضت داران للنشر مخطوطة الكتاب•

_نشر «بورخس» رواية «لونا ديه انفرنتيه» (قمر المقدمة) و(اوليفاريو خروندو كالكومانيس)•

_بدأ عرض الفيلمين الصامتين «مدرعة بوتميكن لسيرجى ايسنستين» و«وهم الذهب» ل«تشارلز تشابلن».

١٩٢٦_

_أصدرت دار النشر اللاتينية رواية "اللعبة المجنونة" بتوصية من الصحفي"انريكي منديز كالثادا" مع إهداء إلى الشاعر الأرجنتيني "ريكاردو جويرالدز".

_كتب إحدى عشرة قصة في الجريدة الأسبوعية الساخرة "دون جويو" التي يرأسها الكاتب والصحفى "كورنادو ناليه روكسلو".

_ تم نشر الآتي: رواية «دون سيجوندو سومبرا» (رجل الظل الثاني) ل«يريكاردو جويرالدز»، وكتاب «لوس ديسترادوس»(المنفيون) ل«أوراسيو كيروجا»، وكتاب «البيولين ديل ديابلو» (كمان «ألة موسيقية» الشيطان) للشاعر «راؤول جونزاليز تونيون»، وكتاب«لا موسا ديل مالا باتا» (وحى الحظ السيىء) للشاعر«نيكولاس أوليفيرا».

١٩٢٧_

_بدأ العمل بقسم السياسة بالجريدة اليومية "كريتيكا" (النقد).

١٩٢٨_

_دعاه الكاتب الصحفي الأرجنتيني" ألبرتو خرتشنف" للانضمام للجريدة اليومية "الموندو" (العالم)، التى كرس نفسه فيها للعمل كمؤرخ إخباري بمجموعة مقالاته الأدبية "أجوافويرتس بورتينياس" (صور بوينوس أيرس).

_نشر في مجلة "بولسو"(القوة) رواية "لا سوسيداد سكريتا" (المجتمع السري) تمهيدًا لرواية "لوس سيتيه لوكوس" (المجانين السبع).

_قُتل عاملان أجنبيان في الولايات المتحدة صعقًا بالكهرباء على غرار تهمة لم يرتكباها.

_تم تنظيم اتحاد العمل الأرجنتين.

_تحولت السينما لواحدة من أكثر وسائل الأعلام أهمية.
_بدأ الشاعر «انريكي سانتوس ديسيبولو» في كتابة قصيدة « ثملت هذه الليلة».
_أُختير «إيبوليتو يريجوين» رئيسًا للأرجنتين للمرة الثانية.
_ظهرت جريدة «الموندو» (العالم) .
_قامت جريدة «كيه»(لماذا) بنشر السريالية في الأرجنتين.
_نشر الكاتب والروائي «ميسيدونيو فرناندیث» كتاب «نو تودو أس لا بيخيليا ديل أوخو أبيرتو» (ليس كل شيء هو يقظة العيون المفتوحة)، كما نشر «جورج لويس بورخس» كتاب «لغة الأرجنتين».
_بدأ «انريكي سانتوس» في كتابة قصيدة «الألم».

١٩٢٩_
_ظهرت النسخة الأولى لرواية "المجانين السبع" في دار النشر اللاتينية، ومع ذلك لم يستطع "ألرت" الخروج من موقفه الاقتصادي المتعسر.
_إقرار قانون تخفيض ساعات العمل لثماني ساعات.
_نشر «بورخس» كتاب«كوادرنو سان مارتن» (مفكرة سان مارتن)، و«نيكولاس أوليفاري» كتاب «الجاتو اسكالدادو» (القط المحروق)، «وميسيدونيو فرناندیث بابيلس ديه رسين بنيدو» (أوراق العضو الجديد).
_إفلاس بورصة نيويورك بسبب الأزمات الاقتصادية المتتالية التي شكلت فيما بعد خطورة عالمية.

١٩٣٠_
_سافر كمراسل صحفي لأوروجواي والبرازيل. حصل على الجائزة الثالثة لرواية "المجانين السبع".
_بدا عرض مسرحية "الأومييادو" (الذليل) في مسرح الأمة الذي أسسه "ليونيداس بارليتا"، وهي مسرحية ذات طابع دراماتيكي، واعتمدت على أحد فصول رواية "المجانين السبع".
_حدث انقلاب عسكري في السادس من سبتمبر بزعامة الجنرال

«أوريبورو»؛ بسبب أزمة حكومة «يوريجوين»، وعدم استقرارها. فرضت حالة الحصار والرقابة وانحلَّ البرلمان. كتب «ألرت» عدة مذكرات مستنكرًا هذا الحدث.

_تشتت المجموعتان الأدبيتان «بويدو» و«فلوريدا».

_برز في المجال الأدبي قصيدة «لا كاييه ديل اجوخيرو إن لا ميديا» (الشارع الذي به حفرة في المنتصف) للشاعر«راؤول جونزالز تونيون»، ورواية «ريلاتوس لوجارينيوس» (حكايات السكان المحليين) للكاتب الأرجنتيني «خوان دافالوس».

_بدأت لحن «ييرا ييرا» ل«أنريكي سانتوس ديسيبولو» (للفضوليين) فهو ينضم للمجموعة الشعرية «لاس بروبويستاس» (المقترحات).

_١٩٣١

_أصدرت دار النشر "كلاريداد"(الوضوح) رواية "لوس لانسيامس" (قذائف اللهب). نشرت مجلتي "الموندو أرخنتينو" (العالم الأرجنتيني) و"الأوجار" (المنزل) وبعض قصصه.

_دعا «أوريبورو» لانتخابات في مقاطعة «بوينوس أيرس»، لكن نجح الراديكاليون في إبطالها.

_أُسست الأكاديمية الأرجنتينية للآداب وجمعية التاريخ الأرجنتيني.

_أسست الكاتبة الصحفية «فيكتوريا أوكامبو» مجلة «سور»(الجنوب).

_نشر الكاتب والروائي «راؤول اسكالابريني» كتاب «الأومبريه كيه استا سولو أى اسبيرا» (الرجل الوحيد المنتظر) .

_١٩٣٢

_نشر رواية "الأمور بروخو" (الحب الساحر). بدأ عملين مسرحيين هما "ترسينتوس ميبونس" (ثلاثمائة مليون) و"برويبا ديه امور" (محاولة حب).

_تولى السياسي «أجوستين بيدرو خوستو» رئاسة الدولة.

_نشر كتاب «راديوجرافيا ديه لا بومبا» (التصوير بالأشعة فى سهل

بومبا) وهو يشبه مقال الكاتب «اسكالابرينو أورتينز»، ويسهم في معرفة حقيقة الأرجنتين.

_سقط النظام البرلماني في ألمانيا.

_١٩٣٣

_ظهرت مجموعته القصصية الأولى "الخوروباديتو" (الأحدب الصغير)، والمجموعة الأولى لرواية "صور بوينوس أيرس".

_بدأ الحزب الراديكالى ثورته للاحتجاج على النظام العسكرى. تم إرسال أحد زعماء الثورة وهو «ريكاردو روخاس سجينًا» إلي الجنوب، وهو يعد مؤلف أول كتاب عن تاريخ الأدب الأرجنتيني.

_وُقعت اتفاقية تسمح لبريطانيا العظمى بتجارة اللحوم.

_نجح الشاعر والناثر والكاتب المسرحي «فيدريكو جارثيا لوركا» في«بوينوس أيرس»، وقدم العديد من أعماله.

_أصبح «هتلر» مستشار ألمانيا.

_أُعتمد على معيار الذهب.

_١٩٣٤

_نشر بمجلة الوطن أجزاء مسرحية مختصرة، وفي جريدة "العالم" قصة طويلة أظهرت علاقته الوطيدة بالصحافة.

_بدأ الحزب الراديكالى ثورته للاحتجاج على النظام العسكرى. تم إرسال أحد زعماء الثورة وهو «ريكاردو روخاس سجينًا» إلي الجنوب، وهو يعد مؤلف أول كتاب عن تاريخ الأدب الأرجنتيني.

_وُقعت اتفاقية تسمح لبريطانيا العظمى بتجارة اللحوم.

_نجح الشاعر والناثر والكاتب المسرحي «فيدريكو جارثيا لوركا» في «بوينوس أيرس»، وقدم العديد من أعماله.

_أصبح «هتلر» مستشار ألمانيا.

_أُعتمد على معيار الذهب.

_نشرت الشاعرة والروائية «نورا لامنجيه» كتاب «خمسة وأربعين يومًا وثلاثين بحارًا»، ونشر الكاتب والصحفي «ريكاردو روخاس»

كتاب «السانتو ديه لا اسبادا» (قديس السيف).

١٩٣٥_

_كان وضعه العائلي والاقتصادي صعبًا في هذه الفترة، وعلاقته بزوجته المريضة كانت غير مستقرة تمامًا.

_بدأ رحلته إلى أسبانيا وأفريقيا والمغرب كمراسل صحفي لجريدة "العالم". انعكست خبراته المكتسبة من السفر على مذكراته والتي كانت تتضمن الأحداث السابقة للحرب الأهلية الأسبانية.

_تطورت الصناعة في «بوينوس ايرس» وضواحيها تبعًا لانفراج الأزمة العالمية. استقر العديد من سكان المقاطعات الفقيرة في هذه المدينة. فُرض بشكل قانوني يوم السبت كإجازة مثل «انجلترا».

_كانت من الكتب التي نشرت في ذلك العام:

«بيخليا» (اليقظة) للكاتب «أندرسون امبرت» وكتاب «كاوس» (الفوضى) ل «بيوى كارس» و«مملكة الله» للشاعرة والكاتبة «دلفينا بونخيه».

-بدأت ألمانيا في التوسع في استخدام السلاح وفرض التعليمات العسكرية الإجبارية.

١٩٣٦_

_عاد "لبوينوس ايرس". نشر جزءً من رواية "صور بوينوس ايرس". بدأ في كتابة المهزلة الدرامية" مسرحية "سابريو القاسي" ومسرحية "صانع الأشباح".

_منذ عودته استعاد هوايته القديمة كمبدع بهدف الخروج من أزمته الاقتصادية.

_شاركت الأرجنتين في المؤتمر الأمريكي في «مونتيبيديو» عاصمة «أوروجواى»، والذي كان يهدف إلى إقامة اتفاق سلمي للحرب في «شاكو» بين «براجواى» و «بوليفيا» (١٩٣٢-١٩٣٨).

_حصل السياسي والدبلوماسي «سابدرا لاماس» على حائزة نوبل بسبب تدخله في حل النزاع.

_أصدر «بورخس» مجموعته القصصية «أستوريا أونيبرسال ديه لا أنفاميا» (تاريخ العار العالمي)، ونشر «أوراسيو كيروجا» قصة «الحياة الأخرى».

_غزت إيطاليا إثيوبيا.

١٩٣٧_

_بدأ في كتابة مسرحية "لا ايسلا دسيرتا" (الجزيرة المهجورة). توفيت أخته "ليلا".

_عقب الإضراب العام أغلقت النقابات وسُجن المئات من العمال وعُذبوا. طبقت الحكومة اقتراح السياسي «أورتيز كاستيبو». وصل إلى«لبوينوس أيرس» الموسيقي «إيجور استرافنيسكي»، والذي كان مغرمًا ب«أرلت».

_أصدر «بورخس» كتاب «لا استوريا ديه لا اترنيداد» (تاريخ الخلود)، وأصدر الكاتب الصحفي «راؤول سكالابريني أورتيز» كتاب «بوليتيكا بريطانيكا إن الريو ديه بلاتا» (السياسة البريطانية في نهر الفضة)، ونشر الكاتب الصحفي والمفكر السياسي «أنيبال بونسي» كتاب «ايدوكاسيون أي لوتشا ديه كلاسيس» (تعليم وصراع الطبقات) .

١٩٣٨_

_بدأ عرض مسرحية "أفريقيا" على مسرح "الشعب" والتي كانت نتاجا لخبراته في السفر. نشر كتاب "سيباراسيون فيروز" (الانفصال الصعب) في جريدة "الليتورال ديه لا سانتا فيه" (ساحل الإيمان المقدس).

_حدث تراجع جديد في الاقتصاد الأمريكي خاصة في قطاع صناعة النسيج والفحم.

_دمر الفاشيون والنازيون بلدة «غرنيكا» بإقليم الباسك في أسبانيا، وهذا الحدث أوحى ل«بابلو بيكاسو» برسم لوحته الشهيرة «غرنيكا» التي توجد حاليًا بمتحف «المنتزه».

١٩٣٩_

_نشر عدة قصص في المجلات والجرائد اليومية• انضم جميعهم تقريبًا للمجموعة القصصية "الكريادور ديه جوريلاس" (مربى الغوريلا) التي نشرت فيما بعد•

_تولى «روبرتو مرسلينو اورتيز» الرئاسة• أصر أنصار الحزب الراديكالي على إدانة التزوير الانتخابي•

_استمر التذمر العمَّالى، وكانت هناك بلاغات طرد على نطاق واسع في الجريدة الاشتراكية «لا بانجواردیا» (الطليعة) .

_انتحر الشاعر والسياسي «ليوبولدو لوجونس»•

_نشر الشاعر والسياسي «فرانسيسكو لويس برناندس» قصيدة «لا سيوداد سين لاورا» (المدينة بدون لاورا)، ونشر الروائي والشاعر والمؤرخ «مانويل جالفيز أومبرس إن سوليداد» «رجال في العزلة»، ونشرالشاعر والصحفي «راؤول جونزالز تونيون» الرواية التاريخية «لاس بويرتاس ديل فويجو» (أبواب الجحيم)•

_بدأت الولايات المتحدة في إنتاج النايلون•

١٩٤٠_

_بداية عمل مسرحي جديد: "لا فيستاه ديل أيروو" (حفلة البطل)• عمل من جديد كمراسل صحفي، لكن هذه المرة في تشيلي؛ حيث كان يرسل مذكرات عن الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي•

_ماتت زوجته•

١٩٤١_

_عاد لتشيلي• كتب قصة "بياخي تريبليه" (الرحلة المرعبة) التي نُشرت بمفردها• قامت دار نشر تشيلية بإصدار رواية "مربى الغوريلا"•

_سافر إلى" أوروجواي"، وتزوج هناك من "إليزابيث ستشينى"•

_إنشاء جامعة «كويو» والمدرسة الحربية العليا•

_أعلنت الأرجنتين الحياد بخصوص الحرب العالمية الثانية التي بدأت هذا العام•

_من الأعمال المنشورة في هذه الفترة: «لا مورتيه إن مدريد» (الموت في مدريد) ل«راؤول جونزالز تونيون»، وقصيدة «كانسيون بارا الديا سين ميدو» (أغنية اليوم بلا خوف) للشاعر «خوسيه البرتغالي»، ومسرحية «أويانتاى «للكاتب «ريكاردو روخاس»•

_وفاة «سيجموند فرويد» مؤلف كتاب «التحليل النفسي»•

_١٩٤٢

_حصل على براءة اختراع؛ حيث قام بتطويع وسائل المرأة في المطبخ لجعلها أكثر مقاومة•

_توفي في السادس والعشرين من يوليو، وحُفظت أعماله الباقية في دائرة الصحافة•

_تولى المحامي والسياسي» رامون•س• كاستيو» السلطة التنفيذية بدلاً من «أورتيز» الذي مرض لمدة طويلة•

_نشر الكاتب «أدلفو بوى كاسارس» رواية «لا انبنسيون ديل موريل» (اختراع الموريل)، وأصدر الكاتب والصحفي «صموئيل إيتشلبوم» مسرحية «الجوابو ديل»٩٠٠ (وسيم التسعمائة)، وكتاب «باخارو ديه باريو» (طائر الوحل)•

_احتلت ألمانيا عدة بلاد أوروبية•

_أعلنت حكومة «كاستيوو» فرض حالة الحصار• ازداد التوافد على مدينة «بوينوس ايرس»•

_تم نشر قصيدة «اجوا ديه يوبيا» للشاعر «مانويل كاستيوو»، وكتاب «لا ليتيراتورا سوسيال إن ارخنتينا» (الأدب الأجتماعي في الأرجنتين)•

_دخلت أمريكا الحرب ضد دول المحور المكونة
من إيطاليا وألمانيا واليابان•

_تنازل «أورتيز» عن منصبه وتوفي بعدها بقليل•

_كشفت دراسة عن المساكن أن ٥٩٪ من العائلات العاملة تقطن في حجرة واحدة، بينما ٣٠٪ من العائلات تسكن في حجرتين•

_نشر الكاتب والمسرحي «ابيلاردو اريس» رواية «الموس تالادوس» (الحور المنسوجة)، والكاتبة «ماريا جراناتا» رواية «أومبرال ديه

تيرا» (مدخل الأرض)، وقامت الكاتبة والشاعرة «سلفينا اوكامبو » بنشر قصيدة «انوميراسيون ديه لا باتريا» (تعداد الوطن) وبعض القصائد الأخرى•

_استمرت القوات المتحالفة في صراعها ضد دول المحور•

obeikandl.com

obeikandl.com

## *مقترحات العمل*
## إعادة النظر في الرواية

١•استنتاج العلاقة بين عناوين الفصول ومحتواها•

٢•تذكر "سيلبيو" في بداية الرواية المثل الذي اعتادت أمه على قوله: "راعي الفقراء•".
- ذُكر من هم الفقراء•
- فُسرت مهمة الفقراء في الرواية•

٣•تعدد وصف المكان والأشخاص• نقلنا ثلاثة أمثلة:
- توجد في الأركان أكوام ملقاة من الدمى الفاسدة والمشوهة التي تخص بهلوان فاشل -أحد أصدقاء عائلة ايرثوبيتا- وصناديق عديدة بها جنود مصنوعة من الرصاص ممزقة الأشلاء بشكل شنيع، وأكوام من الملابس المتسخة، وصناديق مكتظة بالمجلات القديمة والجرائد•
- رفعت رأسي ورأيت نجمة تلمع قليلاً بالقرب من القمة وملاءات السحب، قلت متشككًا أنها قطرات الماء التي تهتز بالصدع الموجود بقطعة البورسلين الأزرق•
- لا يبلغ عشرة أعوام وطوله أقل من أربعة أقدام، لكن وجهه المعيني يشبه وجه أحد

المغوليين• ينحت البوؤس وتجربة التشرد، بوجهه تجاهيد لا تمحى•

أ-البحث عن أوصاف أخرى مماثلة•

ب-وصف أحد الشوارع المكتظة مثل شارع "لبايله" (الفصل الثانى)، وأخر هادئ مثل الشارع الذي كان يعيش فيه المهندس بتري (الفصل الثالث)•

ت-التعليق على مظهر المكتبة خلال اليوم •

٤• يُروى بأحد الفصول عن مسابقة•

أ-ذكر الشخص الذي زور في المسابقة•
ب-التذكير بمشهد أخر ارتكب فيه نفس الشخص جريمة مماثلة أكثر خطورة•
ت-البحث عن رأى الراوي فيما يخص هذه المسابقات•

من هنا يمكن أن تنبثق أراء الطلبة الذين يظهرون تجاربهم المتعلقة بهذه المسابقات•

٥• الحديث في المقدمة عن حياة "روبرتو ألرت"، وعلاقته بوالديه، ظهرت في الرواية
عائلة "استير" وعائلات أخرى•
أ-شُرح شفهيًا كيف كانت تؤسس العائلات•
ب-الخروج باستنتاجات عن أفراد العائلات: من هم؟ ماذا يفعلون؟ بماذا يحلمون؟

٦• تم ذكر شخص محبوب في بداية القصة•
أ-ذُكر اسمه•
ب-ستناقش في قاعة المحاضرات إذا ظهر هذا الحبيب، أوأنه مستوحى من خيال "سيلبيو"•

٧•حلم البطل في مناسبات عديدة بحياة مختلفة •
أ-البحث بالكتاب عن بعض الفقرات المتعلقة بهذا الموضوع •
ب-ذكر اسم شخص ما مثل "سيلبيو" يمكن أن يخدم كنموذج •
ت-تذكر المحاولات الفاشلة التي عاشها "سيلبيو"•
ث-كتابة حكاية مختصرة عن ما يمكن أن يحدث له في "كومودرو"•

obeikandl.com

• قص الاستشهاد التالي الذي يخص حلم "سيلبيو":
"كانت بقع من الزيت تلمع بحزن على الطريق المسفلت تحت سماء حمراء، كان يوجد أيضًا في السماء مساحات أخرى زرقاء صافية، كانت مكعبات أسمنت بورتلاند متناثرة دون نظام، وتعلو بكل الأجزاء."

٨• ظهر في الرواية أنواع مختلفة من الأشخاص المهاجرين، كما تم ذكرهم في التسلسل الزمني، تم ذكرهم في المقدمة•
• ناقش في قاعة المحاضرات كيف يرى "سيلبيو" المهاجرين•

٩• شرح في المقدمة اختلاف اللهجات التي ظهرت في الرواية•
• نقل بعض الأمثلة وربطهم بالشخصيات والمكان مثلما حدث في المقدمة•
• الأستنتاج من الملاحظات من يتحدث أكثر بلغة الأفاقين•
• عمل مذكرة بالكلمات غير المعروفة ولا تشملها لغة الأفاقين•
اللعبة المجنونة والأدب

١•تكرر في الرواية ذكر الشخصيات والأعمال الأدبية•

• تعرف عليها بمساعدة المعلم والقاموس•

٢•ذُكر في المقدمة أن هذه الرواية هي رواية تعليمية• توجد أعمال أخرى تسمى بنفس الاسم•

• التذكير باسم هذه الروايات ومؤلفيها؛ لذلك تحتاجون لمساعدة:
• تعلم أحد الصعاليك من أرباب عمله الكثير من المهام المختلفة، تُروى هذه التجارب في كتاب مشهور يسمى عصر النهضة الأسبانية "حركة أدبية".
• كتب المؤلف -الذي ينتمي لرهبانية القديس "يوحنا" العسكرية،

وأصبح رئيسًا لبلده - كتابًا عن طفولته وشبابه، يُحتفل بذكرى وفاته في الحادى عشر من سبتمبر•

• كتب تلميذ بمدرسة شهيرة في مدينة "بوينوس أيرس" بنهاية القرن الماضي عن حياته وأصدقائه ومعلميه•

• وجد الكاتب الذي كان يساعد "روبرت ألرت" مكانًا لحكاياته في الريف• البطل هو شاب مراهق تعلم كل الوظائف شيئًا فشيئًا بمساعدة أحد العرابين•

• مساعدة أخرى أكثر:

توجد هذه الكتب الأربعة في مجموعة اقرا وابدع•

٣•تكسب والدة "سيلبيو" قوتها من الخياطة على ماكينة، وهي واحدة من الوظائف القليلة التي كان يمكن أن تتولاها المرأة في هذه الفترة• كتب شاعران من الأرجنتين عن "الخيَّاطة الصغيرة"، وهما "إيباريستو كاريجو" و"نيكولاس أوليفاري"•

الخياطة التي قامت بهذه الخطوة السيئة
والأسوء من كل شيء بلا داع
بقلة الحياة التي لم تلتفت لها،
ثم ذهبت منذ يومين، لم يعد ممكنًا
التوهم أكثر من ذلك، يثير الشفقة
رؤيتها متحملة هذا الشر الذي لا يطاق
من الصديقات، هن كثيرًا بلا قلب!

على الرغم من أنهن يتحدثن عن لا شيء،
تدور آلاف الافتراضات في الحي •
من الممكن تصديقها•

ما وجه الخياطة هذا
ما هذه العيون الغريبة
هذا المساء
تركت المنزل لكي لا تعود•••

إيفارستو كارينجو(١٨٨٣-١٩١٢)

الخياطة التي قامت بهذه الخطوة السيئة

تمتلك شقة صغيرة بحي ناءٍ ،
وعقدا من اللؤلؤ، وقرطاسا
من الشيكولاتة، يحييها النائب
ولم يعد يضايقها كثيرًاهذا المسن بالتأكيد•

الخياطة المسكينة التي قامت بهذه الخطوة السيئة!
مسكينة• إن لم تأخذ هذه الخطوة••• ستأخذها
إن لم تكن مسلولة من كل شيء، قليلاً ما سينقصها•

اسخري من مواعظ العجائز العوانس؛
فهذه النصائح لا تنفع في الحياة الآن يا فتاة
فكري، لو كنتِ بقيتِ؟

نيكولاس أوليفاري(١٩٠٠-١٩٦٦)

• القراءة والتعليق بقاعات المحاضرات عن الرؤية المختلفة لكلا الكاتبين•

الرحمة، والألم، والخيانة

٤• النقاش بقاعة المحاضرات عن:



obeikandl.com

أ-موضوع  شفقة الإنسان على نفسه وعلى الأخرين.
ب-مشاعر "سيلبيو" حيال الآخرين.
ت-الدافع الذى تملك البطل للوشاية بصديقه.
• قراءة قصة " الخسيس" ل"خورخيه لويس بورخس"، من كتاب "خطاب برووديه" بعد المناقشة. ستجدون بعض الأشياء المتطابقة، عرضية ؟ أم مخططة ؟

الآن، اليوميات

١.قرأ "لوسيو" قصاصة جريدة في الفصل الأول.
• ابحث عن واحدة مشابهة.

٢.انتقاء إخطارات مصنفة حسب العمل.
• تخيل أنك في موقف "سيلبيو".
• أجب كتابة على الإخطار.

الكاتب، الحياة، العصر

١.شُرح في المقدمة سبب أن هذه رواية حضرية.
• حدد الشوارع والأحياء التي لاتزال موجودة.

٢.اربط كتابةً المعلومات الحياتية ل"روبرتو ألرت" ببعض المشاهد التي عاشها "سيلبيو" بخياله.
• ابحث في التسلسل الزمني والمقدمة.

اقتراح آخر وهو الأخير

تم إخراج فيلم سينمائي بعنوان "العبة الثائرة" بعام ١٩٨٤، الذي



obeikandi.com

كان مطابقًا لنص الرواية• ليس موجودًا بالفيديوهات، ربما يوجد عند أي موزع • لماذا لا تبحثون عنه ؟ حظ سعيد!

الوعد "للفضوليين"

العودة•••العودة•••
عندما الحظ من يكون كالورق الرقيق
يسقط و يسقط
و يوقفك
عندما تكون سليما في الطريق
بلا اتجاه، بائسًا،
عندما لا يكون عندك إيمان
ولا ثقة بالأمس
تجففها الشمس
عندما يتمزق الحذاء
بحثًا عن هذا المال
الذي يجعلك تأكل
عدم اكتراث العالم
يكون سخيفًا وصامتًا
تشعر به مؤخرًا
سترى أن كل شيء ما هو إلا كذبة
سترى أن الحب لا شيء
العودة•••العودة•••
على الرغم من أن الحياة تهزمك
على الرغم من أنها تذيقك ألمًا
لا تنتظر مساعدة مطلقًا
ولا أي يد وأي معروف

عندما تجف البطاريات

obeikandl.com

من كل الأجراس
التي تضغط عليها
باحثًا عن صدر أخوى
لكي تموت محتضنًا
عندما يتركوك صريعًا
بعد العمل الشاق
وهو نفس الشيء معي
عندما تنظر حولك
فيجربوا الملابس
التي ستتركها
تتذكر هذا الأبله
الذي في يوم ما، متعبًا،
سينبح

سترى أن كل شيء ما هو إلا كذبة

كلمات: انريكي سانتوس ديشيبولو.

obeikandl.com